الشرق

مجلة شهرية تعنى بشؤون الادب، الفكر والفن

في هذا العدد

العدد الثاني _ السنة الثانية _ تموز ١٩٧١

الشرق

مجلة شهرية تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن

تصدر عن صحيفة الأنباء

مدير التحرير والادارة : محمود عباسي

رئيس التحرير
زكي درويش

سكرتير التحرير
أنطون شماس

"א-שרק"

המזרח

ירחון לעניני ספרות, הגות ואמנות

יוצא לאור ע"י עתון "אל-אנבא"

ת. ד. 428 ירושלים טל 24433

« A-Sharq »

THE EAST

A Monthly Magazine For Literature & Art

Published by (AL ANBA)

P.O.B. 428 Jerusalem Tel. 24433

عنوان المراسلة : ص.ب. ٤٢٨ القدس



قصــة

مســرح

مقـالات وأبحـاث

شــعر

أبـواب

أنطون شماس : ٧ قصائد حب

القصيدة الأولى

اذا انتسيت في قطار الساعة الرابعة
المسافر للشمال
واستمر القطار في سفره
اضاع خطوطه عجلاته ابوابه شبابيكه
وكل شيء
وكل القرى على الجانبين
وبقيت لوحدك
مع رغبة الهجرة للشمال ...

القصيدة الثانية

سائر في الليل على شظايا النعاس
عائد نحوك
وانت بعيدة كالله
والبرد يسكن مقلتي . أنا سائر

الاقدام تسير في ذاكرة الغبار
تحفر اسمها على نصل النسيان
كمرآة الفضة تنهمر عليها الغربة
تدوسها الاقدام

النعاس بين الاغصان يلهو مع القمر
تدحرج في الغابات
في آخر الليل خمرته سحابة
ذكرتك
فسار الليل نحوي على شظايا النعاس

القصيدة الثالثة

بعيدتان شفتاك .
رجلا يمامة مهاجرة .
وردة تذبل في المرآة الباهتة .
كصدأ الكلام

القصيدة الرابعة

خطافات الكآبة تنغرز في صوتك
وتتحدب اصابعك تحت المطر والشمس ،
تتشقق ،
وتصفو عيناك الا من ظلمة حميمة
كظلمة الرحم
وزاوية في البيت القديم
علقت فيها ثياب الطفولة المهلهلة

القصيدة الخامسة

عارية
وقفت امام المرآة
وذهبت
لكنها بقيت في المرآة

عارية
وقفت أمام المرآة
اختفى فخذها
وشعرها
وفمها
وتعانقت اجزاؤها الباقية
على سطح المرآة

عارية
وقفت أمام المرآة
ونادت باسمك
أمن فمها الصوت اتى
أم من الفم الذي في المرآة

عارية
وقفت أمام المرآة
لم ترفع يدها ،
وارتفعت
يدها التي في المرآة

عارية
وقفت أمام المرآة
لكنها
لم تظهر في المرآة

القصيدة السادسة

الساعة السادسة .
وانت بجانبي كمان مرهق .
جوارير خشبية .
بعض الاوتار المعدنية المتشنجة

القصيدة السابعة

الحب واحد من الامور الشخصية .
تحمله على ظهرك كالتابوت ،
وتضعه في آخر الليل على طاولتك .
تجلس أمامه كالقديس
تلهو بهالتك .

الحب واحد من الامور الشخصية .
انت فيه لوحدك ، كما في التابوت



فندق ٠

غرفة ضيقة مخصصة لاستقبال نزلاء الفندق ٠ في وسط الغرفة طاولة مرتفعة قليلا ٠ الى يمينها خزانة صغيرة تتدلى في داخلها مجموعة من المفاتيح ٠ وراء الطاولة تتدلى من الحائط عدة لوحات لبناية الفندق الذي لا بد ان يكون فاخرا ٠ الى يسار الطاولة مجموعة من الادراج النصف دائرية تؤدي الى غرف الفندق في الطابق العلوي مباشرة قرب تلك الادراج النصف دائرية مدخل يؤدي الى حديقة تبدو الورود فيها مقطوفة وتكاد تكون عارية الا من الاوراق ٠

تدخل صاحبة الفندق من المدخل المؤدي الى الحديقة وعلى وجهها علامات الحيرة والارتباك من شيء ما ٠ تقف مفكرة للحظات قرب الطاولة ٠

صاحبة الفندق : (تتخيل انها تتحدث الى شخص موجود في الغرفة) أصبح يؤلمني ذلك ٠ يؤلمني جدا ٠ لماذا أخفيت الحقيقة عني وأنت تعلم ان الامر غامض ٠٠

(تلتفت الى المدخل)

وخطير ؟لماذا ٠٠٠

(تفاجأ بعدم وجود اي انسان في الغرفة فترتسم على وجهها سيماء الدهشة)

غريبة ٠

(تسير نحو المدخل وتمد عنقها منادية)

أمين ! اين انت ؟

(صمت)

ألا تسمعني ، أين أنت ؟

الصوت : (يأتي ضعيفا نوعا ما)

في الحديقة ياسيدتي ٠٠

صاحبة الفندق : (مندهشة)

وماذا تفعل حتى الان في الحديقة ؟

الصوت : (يعلو تدريجيا)

كنت ارقب الازهار ٠٠

صاحبة الفندق : (مندهشة)

ترقبها ؟

الصوت : (ما يقرب من الصراخ)

وهي تذبل يا سيدتي ٠٠

صاحبة الفندق : (تستدير وتتراجع وهي تعقد أصابع يديها بارتباك ومرارة)

الازهار تذبل في الحديقة ٠

(يدخل «امين» وهو يحمل دلوا في يد ووردة في اليد الاخرى ٠٠ يدنو من صاحبة الفندق وهو يمد يده بالوردة)

امين (بألم)

سيدتي ٠٠ (يقترب حتى يحاذيها) اسمحي لي أن أقدم لك آخر وردة لم تذبل ولم تقطف من حديقة ٠٠٠

(ينظر نحو اللوحات المدلاة من الحائط ومشيرا ٠٠ باليد الاخرى التي يتدلى منها الدلو)

ذلك الفندق الفاخر العظيم ٠٠

(ينحني أمامها باجلال)

سيدتي ٠٠ لن ارفع ظهري الذي تقوس من سجودي امام الزهور في حديقة الفندق الفاخر العظيم ٠٠ والظهر الذي تقوس اعواما طويلة ٠٠ حتى ٠٠

صاحبة الفندق : (تتناول الوردة وتنظر اليها طويلا ٠٠)

امين : (بوقار وباسلوب خطابي)

الان ٠٠ الان ٠٠ يمكنني الانتصاب ٠٠

صاحبة الفندق : يا الهي ٠٠

تشم الوردة بانفاس محمومة ٠٠ «امين» يقلدها باسلوب مبالغ فيه

(صمت)

صاحبة الفندق : (وهي تقف خلف الطاولة)

وكيف لم تردعهم عن هذا العمل الاجرامي الذي ٠٠ (تمسك خاصرتها وتعصرها بألم)

لاشيء ٠٠ لاشيء ٠٠ مجرد غصة في خاصرتي اليمنى ٠٠ تأتيني في ساعات الحزن على شيء افقده ٠٠

(تكمل سؤالها)

تتفتت من وحشيته أفئدة الصغار ٠٠

(تعاودها الغصة)

أمثالي ؟

(بألم)

لماذا ؟ لماذا لم تصد الاوغاد الهمجيين ، لماذا ؟
الستالجنائني؟ (تزداد عصبيتها وتبدأ أوصالها ترتعد)
لماذا ! لماذا ! لماذا !
(تهوى خلف الطاولة)

أمين : (يندفع نحوها صارخا)
سيدتي ·· سيدتي
(يتوقف قرب الطاولة وهو يقلب نظـــره بارتباك ·· يتظاهر باسى ·· وفجاة ينفجر صارخا ببكاء مصطنع)
الوردة ·· الوردة ··
(من خلف الطاولة يبدأ راس صاحبة الفندق يتصاعد رويدا رويدا حتى يبدو كليه)

أمين : (مندهشا وعيناه تكادان تخرجان من محجريهما)
أنت !

صاحبة الفندق : (تهزرأسها بايجاب)

أمين : (مندهشا)
لم يغم عليك ؟

صاحبة الفندق : (تهز رأسها بالنفي)

أمين : (بائسا)
بحق الابالسة ·· ماذا كنت تفعلين خلـــف (يضرب على الطاولة بشدة) طاولة كهذه ؟

صاحبة الفندق : (بهدوء وبساطة)
احدق باتجاه الحديقة ·

أمين : (يصاب بذهول هائل ··)
تحدقين باتجاه الحديقة ؟ دعيني أنظر ··· ربما تكون الحديقة استحالت سلة مهملات دون ان ادري ··
(يتوقف)
سيدتي·· اما ان تكوني بحاجة الى مائتي قطعة من مهدىء الاعصاب ·· او ·· وهذا الاصـــح ياسيدتي ·· (مشيرا الى الادراج النصفدائرية) أو الى الصعود فورا ودونما تأجيل ·· من هناك ·· من هناك ياسيدتي ·· أتريدين الادراج نصف الدائرية ياسيدتي ؟
هذه الادراج تؤدي الى المكان المناســـب ·· أليست أعصابك متعبة ياسيدي ؟
(بحماس)
الى فندق الاستجمام ياسيدتي الى فنـــدق الاستجمام فورا ودونما تأخير ··

صاحبة الفندق : (تضحك بهستيريا ·· تتوقف ·· تدنو من امين ··)
نسيت أن الاوغاد يملؤون الفندق ··
(صمت)
(بتهكم) يا «أمين» ؟

أمين : (يتجنب النظر اليها ويقول بانكسار)
لكنني ياسيدتي ··
(ينظر اليها موضحا)
لست أكثر من جنائني · أسقي الزهور ·· أسقيها من هذا الدلو ·· أجعلها تتفتح وتــنشر رائحة تبعث في نفس النزلاء رغبة في هذا الفندق ماذا يمكنني ان افعل حتى اردعهم ؟ لســـت الحارس في هذا الفندق · لست الحارس يـــا سيدتي ·· ولهذا لم يخطر في بالي ان امنعهم ·· لست أكثر من جنائني يمنع الزهور ·· يمنعها أن تذبل ·· لايمكن ان أمنع من يقطف تلـــك الزهور ·· لايمكن ان افعل ذلك·· هل تفهمينني يا سيدتي ؟ لايمكن أن امنع الازهار ان تقطف ·· لايمكن ياسيدتي لا يمكن ، لا يمكن ··
(صمت)

صاحبة الفندق : (تدنو منه ·· فيبدأ بالابتعـــاد ·· تلاحقه ·· يخرج من المدخل ·· فتصرخ وراءه)
متى كان ذلك ؟

الصوت : (من بعيد)
هذا الصباح ياسيدتي ·

صاحبة الفندق : (بمرارة)
وأين كنت أنت ؟
(موسيقى جنائزية)

الصوت : في الحديقة يا سيدتي ·· في الحديقة · كنت أسقي الزهور · من ماء الدلو كانت قطرات الماء تنزل في شوق يا سيدتي · فاحت رائحة الازهار ·· وشعرت باعصابي تتراخى من رائحة الازهار الفواحة ·· وتراخت أهدابي ·· وتراخى دلو الماء ·· وتراخىجسدي ياسيدتي ·· ما أجمل أن تغفو أعيننا والرائحة الفواحة تعبق من ازهار الزنبق والجوري والياسمين ·· ما أجمل ذلـــك ياسيدتي ·· لم أشعر الا بالنشوة ·· نشـــوة الجمال · الم يخطر في بالك ياسيدتي أن ·· سيدتي ·· لم يعد الجمال لونا ·· الجمال رائحة ·· رائحة تعبق من حولك ياسيدتي ·· مـــن يشتم رائحة القمامة لا يمكن ان يتخيل شيئـــا جميلا ··

صاحبة الفندق : (صارخة)
لايعنيني ذلك · لايعنيني أن أسمع احساسك في تلك اللحظة ·· هل تسمعني؟ يعنيني ان اسمع ماذا كان ·· هل تفهمني ؟

الصوت : (مواصلا)
وصرخت بهم : من تكونون ؟ واجابوني بازدراء : نزلاء الفندق يا أحمق ·· ورايتهم يقطفون الزهور ·· يقطفونها في وحشية لا يمكن ان يتصورها انسان مثلي لم يخدش زهرة ولو واحدة في حياته ·· وسالت النزلاء ماذا تفعلون ؟ واجابوني ·· نزلاء الفندق يا سيدتي: نقطف الزهور ·· وصرخت بهم : أية حرية تجرؤون عليها ·· من أعطاكم تلك الحرية ؟
صاحبة الفندق : (بعصبية)
الاوغاد ··
الصوت : وقالوا : اهدأ يانسان ·· اهدأ ·· وهدات جمعت قواي وملت على اقربهم مني ·· وهمست بأذنه : اخبرني بربك ·· ما الحكمة من قطف الازهار ؟ وولول في أذني : نصنع منها أكليلا كبيرا ··
صاحبة الفندق : أكليلا كبيرا ؟ الاوغاد يصنعون من زهورنا اكليلا ضخما ؟
الصوت : من أجل الجنازة ··
صاحبة الفندق : جنازة ؟ ماذا يجلعهم يفكرون بالجنازات في فندق هادىء كهذا ؟
الصوت : ينتظرون الجنازة حتى تمر ··
صاحبة الفندق : انك تحدث في عقلي زعزعة تفقدني اعصابي ·· ماذا تعني كلمة جنازة بالحرف الواحد ؟
الصوت : موت ·· موت سيدتي ··
صاحبة الفندق : (تظن انه يعنيها)
موتي أنا ؟
الصوت : (معتذرا)
كلا ·· كلا ·· لم أقصد ذلك ياسيدتي ·· لم اقصد موتك أنت ·· كنت اقول موت ·· موت ··
صاحبة الفندق موت من ؟ اخبرني موت من ؟
الصوت : يقولون ان صاحب··هل تسمعينني ياسيدتي؟ يقولون ان صاحب هذا ·· هل أنت صاحبة هذا الفندق ياسيدتي ؟
صاحبة الفندق : (مرتجفة)
ماذا تعني ؟
الصوت : اعني انك مسؤولة عن ايواء النزلاء في هذا الفندق الفاخر العظيم ··
صاحبة الفندق : (مرتجفة)
كلا ·· لست أنا ·· انه ·· انه ·· زوجي ··
الصوت : (مندهشا)
زوجك ؟ هل قلت زوجك ؟
صاحبة الفندق : (مرتبكة)
أنا ·· زوجي ·· هو ·· أنا ··
الصوت : كوني اكثر دقة ياسيدتي
صاحبة الفندق : (مرتجفة)
حاليا ·· لا ادري من ·· لا ادري من صاحب هذا الفندق ·· احيانا أشغل هذا المنصب ·· أشغله ··
الصوت : وزوجك ، ماذا يفعل ؟
صاحبة الفندق : أبكم ·· النزلاء لايرضون بانسان أبكم ·· هل تسمعني ؟ لايرضون بانسان أبكم ··
(يدخل «أمين» يحمل أكليلا ضخما من الزهور وخلفه مجموعة من نزلاء الفندق ·· يتوقفون طابورا أمام المدخل ····)
(صمت طويل)
أمين : سيدتي ··
صاحبة الفندق : من ؟ انت ايضا يا امين ؟
(يدخل زوجها ·· ويقف عند المدخل ·· يلتفت طابور النزلاء ··)
صاحبة الفندق : (تندفع صارخة)
لن تاخذوه · لن تاخذوه ·
(تطوق زوجها وهي تنظر الى طابور النزلاء بفزع)
امنحوه الفرصة كي ينطق · آخر فرصة للنطق ·
(صمت طويل)
طابور النزلاء : (معا)
لم نعد نطيق الصمت · الابكم لن يتكلم يحتاج مسيحا آخر
(يخفت صوتهم تدريجيا)
مسيحا آخر
مسيحا آخر
مسيحا آخر
صاحبة الفندق : (تهز زوجها متوسلة)
تكلم ! دعهم يسمعون ! لا يامنون بالصمت · لا يامنون ·· تكلم ·· الا يمكن ان تنطق حرفا واحدا ؟
الزوج : (ينتزع من صدره ساعة تبدأ بالرنين الصاخب)
طابور النزلاء : (معا)
سئمنا الرنين الصاخب لاتسمع الا صخب الرنين والان حان الاوان ·
(الرنين يتوقف)
امين : (يتقدم نحو صاحبة الفندق · ينظر اليها بمرارة) سيدتي · لست الا واحدا منهم · كنا ننتظر

البقية على صفحة ٣٦

د. ساسون سوميخ

في انتظـــار القطـــار

صدر مؤخرا الديوان الاول للشاعر فاروق مواسي، ويحتوي الديوان على ٢٨ قصيدة تقع في ٩٦ صفحة من القطع الصغير، طبع الديوان في مطبعة جمعية عمال المطابع التعاونية في نابلس وقد قدم الديوان الدكتور ساسون سوميخ استاذ الادب العربي في جامعة تل ابيب وجامعة بار ايلان، ويسرنا ان ننشر فيما يلي مقدمة الدكتور سوميخ التي تلقي الضوء على هذه المجموعة الشعرية.

ما سر هذا الحزن كله يا ترى؟

ما علة هذه المراثي، والبكائيات المتتالية المتشابكة التي تزدحم بها مجموعة شاعرنا الاولى؟ «الم» «نكد» «شجن» «حزن» «أسى» «عذاب» «التياع».

هذه الكلمات واضرابها تكاد تكون العمود الفقري الذي يقوم عليه شعر فاروق مواسي. هل ان شاعرنا جبل على الماسوخيه وحب الالم لذاته؟

انه ليقرأ بذلك بدون تردد منشدا:

غصت الدمعة في حلقي
ولم ...
ثم قلت ..
ما أروع الاسى!

ولكن مهلا، لنقرأ بتمعن هذه الحواريات الملتاعه، وسيتبين لنا بان «مواسي» ليس حتما بالشاعر «المأساوي» ولا حتى بالشاعر «اليائس» حقا. فهو لم يغلق باب الرجاء ولا أغمض عينيه عن رؤية النور والفجر. والكثير من قصائده ينتهي بعكس النبرة المتوجعة القانطة التي يفتتح بها.

حقا قد يحدث ان يقذف الشاعر بنبراته الاملـــه في وجوهنا على حين غرة وبدون اعداد الارضية الملائمة لذلك، انظر مثلا نهاية قصيدة «حوارية العيد» حيـــث لايستطيع القارىء الا ان يسأل نفسه: «كيف اخترق الامل فجأة هذه الاكداس المكدسة من الظلام والتيـــه خاصة بعد ان كان كلا صوتي الحوارية على حد سواء ينضح يأسا»؟

أقول ان الامل لم يبخع نفسه وما زال كامنا ينتظر القطار وطبعا لاتناقض هناك بين الالم والامل. وكثيرا ما نجدهما يعيشان جنبا الى جنب في أغوار نفوسنا.

— ٢ —

واشعار هذه المجموعة (باستثناء العمودية التـــي اجتثها «مواسي» من دفتره القديم) تتميز من ناحيـــة الشكل او الاسلوب بالتمرد التام على القديم، وتتميز كذلك بالمغامرة فقد تجد في القصيدة الواحدة وزنين او ثلاثة من اوزان الخليل صهرها الشاعر — بدون تحرج — في قالب واحد، وقد يتحرر الشاعر من ربقة التفصيلات الفراهيدية، وهو يتأثر بالشعر العالمي والعربي قديمه وحديثه. فستجد في ابياته اصداء لمحي الدين بن عربي والسياب، لشكسبير والشابي، لرابعة العدوية وفدوى طوقان. هو لايتورع عن اقتباس الاساطير والشخوص التاريخية والاسطورية — العربية والعالمية على حد سواء فهنا بروتس وهناك الفاقفي وهنا سيزيف وهناك ... ولغته هي الاخرى مزيج من القديم والجديد وبعض كلماته تكاد تكون مستقاة من لغة الشعب، وغيرهـــا مأخوذ من الشعر الجاهلي ومن المعاجم القديمة، وهذا المزج بين العناصر المتباينه المتباعدة قد يحدث بعـــض الاحيان شيئا من التنافر الاسلوبي والنشاز الصوتـــي ولكنه في الوقت نفسه أمر لاغنى عنه لكل ادب تجريبي يحاول هدم الحواجز بين القديم والمستحدث، بيـــن البعيد والقريب، وما من شك بان هذه المجموعـــة بشائر اسلوب خاص بالشاعر الشاب «فاروق مواسي» اذا تعهده صاحبه بالعناية والعقل والمثابرة فلسوف يستطيع ان يصل الى درجة الابداع الفني.

— ٣ —

ملاحظة أخيره: سيجد بعض القراء — بل ربمـــا اغلبهم — صعوبة في فهم أشعار هذه المجموعة. وسبب تلك الصعوبة هي — طبعا — هذا المزج وهذه الـــروح التجريبية المغامرة التي تحدثنا عنها. وأنا اقترح على قراء هذا الكتاب الصغير الا يقرأوا قصائده قـــراءة متعجلة مكسال بل ان يقرأوها بتأن وان يعيدوا قراءتها مثنى وثلاث فهذا الشعر، كاغلب الشعر التجريبـــي الحديث، يتطلب من قارئه الصبر والجهد. وأنـــا على ثقة بأن من يحقق ويقارن ويتحرى عن كنه الاسماء والاساطير التي ترد في هذه القصائد سيجد في نهايـــة الامر لذة ممتعه، بل وفائدة، وسينتهي به الامر الى ان يكشف للقصائد معان جديدة وعميقة لم يتصورها بادىء الامر.

أنا سوداء

قصة قصيرة
للكاتبة المصرية : جاذبية صدقي

هذه هي القصة ..

التي كتب الزعيم الزنجي مارتن لوثر كنج الى صاحبتها .. خطابا يشكرها فيه على انها كتبتها ! .

زنجية .. وبنت عبيد !

انفي افطس ... وشعري شوك .. وشفتاي غليظتان مقلوبتان بعنف الى الخارج .. وعيناي حادتان تلتمعان .. وقوامي كالسهم – السهم الافريقي الذي اعتاد اجدادي ان يصيدوا به رزقهم !

كم حكت لي امي عن اجدادي هؤلاء ! كم حكت لي – لا عن علم ، ولكن عن حلم تحلم بهم امي في يقظتها .. وفي نومها .. وفي رواحها .. وفي مجيئها ! تحلم بالاجداد وبقارة الاجداد حكايات ... واحلام .. واغان من قارة الاجداد الصامدة .. الشامخة افريقيا !

نتكلم عنها .. ونحلم بها .. ونغني لها .. ونتغنى بها اخر النهار .. هناك في اكواخنا النائية المتهالكة المتساندة في اطراف الحقول – حقول الجنوب . حقول القطن . ايعرف احدكم ؟ – لا ، المعرفة كثيرة عليكم . لاجعل سؤالي هكذا : هل يستطيع احدكم .. هل يقدر احدكم .. ان يحزر – مجرد ان يحزر – معنى ان تكون اسود زنجيا وعبدا ابن عبيد شراعال في حقول الاسياد البيض في الجنوب ؟ تلك القارة المرحة المرفهة الناعمة المتعالية التي لها مخالب ناعمة باظافر وردية مشذبة لامعة وبراقة ، لكنها في حقيقتها شرسة ضارية تنهش بها لحومنا وتمزق جلودنا السود ! فكان خصوبة تربتهم من دمانا التي اسالوها .. استحلوها .. استباحوها لتتلوى نحن من حرقة السياط .. او من حرقة اكبادنا واب او اخ معلق من عنقه يتارجح مشنوقا في غصن شجرة . وتتلوى هي .. تلك القارة الراقدة .. على نغمات – التويست – .. وتعب الخمر عبا .. وترفل في حرير .. وتلغ في وحل – تغيض بها اعماقها !

امي جمالها البرى الافريقي كان سبب بلائها . انقض على تهديها القاترين سيدها الابيض ، وملاحشاءها بي .. قالوا لي انها كانت تتفجر انوثة كانما اجتمعت ثورتها كلها .. ثورتها كلها .. وحقدها .. وغضبها .. وكمدها من اجل قومها في هذين التلين الافريقيين اللذين يشقان قميصها البالي المرقع وهي منحنية في حقول القطن من طلعة الصبح حتى تختفي شمسه عند الافق . منحنية تجمع وتجمع ، وتغني وتغني لا تتعب . تحمل عن مرضع ولدها . وتدس ذرعها الابنوسية القوية تحت ابط عجوز تجر قدميها جرا في طابور العودة الطويل الحزين الذليل .. اخر النهار .. الى الاكواخ القذرة المتهالكة هناك في اطراف الحقول . طابور تقوده نغمات غناء نائح كالعويل ، وعودة الى نومة كلاب ، ووجبة خير منها علف البهائم !

ومع ذلك .. مع الهوان والشقاء .. كالشجرة البرية العفية التي تقوى .. وتثمر .. وتترعرع على الهواء والشمس ، اينع شباب امي وتوجهت حيوتها وزها عنادها ، فانقض عليها السيد الابيض – كيف ترفع زنجية راسها ؟ كيف هذا ؟ كيف لم تذل كبقية القطيع ؟ فملا بطنها بي .

انا – ويلي ! زنجية ملعونة في عروقي دم البيض ! قطرات من دم البيض . لكن امي السوداء الثائرة بحقدها ومقتها وثورتها استماتت كي تجعل احشاءها تلفظ تلك القطرات ، تقطرها اضطرارا كي تلفظها – ولكن لا . لم تلفظ احشاءها تلك القطرات الملعونة من دم الاسياد البيض . قاومتها طبيعة بنائها القوى . فولدتني . حملت بي اشهرا طويلة تعيسة . لم ولدتني تحت النجوم ذات ليلة حالكة . ولدتني في الخلاء وحدها . تتلوى وتعض الارض وتغرز اظافرها في جذور الشجر كالقطة الجرباء . لكنها بحقدها ومقتها وبعنف ثورتها وتمردها قد افرزت في جوفها .. فيما يبدو .. قطرات زنجية من عروقها السوداء اغتالت قطرات الدم البيض الدخلية – اذابتها .. اعتصرتها ... سحقتها .. امتصتها في ذاتها امتصاصا . فجئت انا زنجية خلقا وخلقة ، قلبا وقالبا . اورثتني امي صفات قومها كلها ، كلها . وقد قطعت الحبل السري الذي يربطني بها باسنانها واظافرها ثم القتني .. وانا بعد لزجة انتفض على فخذيها العاريتين الملطختين ، وانكببت فوقي تحملق في وتحملق .. وتقلبني على هذا الجانب .. ثم على الجانب الاخر . تتشممني .. وتتحسسني .. وتتفرس في على ضوء النجوم الشاحب . ثم اختطفتني من فوق فخذيها واحتضنتني بقوة وانا قطعة لحم عارية وهي عارية ، تضمني الى قلبها في اعزاز غامر .. في سعادة . ثم رفعت وجهها الى السماء تشكر الله شكرا عميقا مؤمنا – بلا صوت . ثم انفجرت تضحك – ضحكت كثيرا وطويلا في شماتة وحدها تلك الليلة .. فلقد انتصرت على السيد الابيض .. ولدت زنجية بنت زنوج ..

اورثتني امي صفات قومها كلها ، كلها . حتى ثورتها هي .. وحقدها .. وتمردها .. وعنفها .. وعنادها . منذ طفولتي . تمردت على حياة القطيع التي احياها وسط العبيد السود . فعضضت اليد البيضاء التي دفعتني لاهية ذات يوم فوقعت على وجهي . يد كبيرة ضخمة يكسوها شعر اشقر كالذي ينمو في صدور الافراخ واصابعها غليظة قوية باظافر مشذبة نظيفة . لكن اخلاقها ليست نظيفة – تلك اليد . ولا قلبها في لون بشرتها . بالعكس . بياض كالبرص .. كالجرب .. كالشيب .. بياض كاذب خداع . صفاء زائف . كاذب كاذب ذلك اللون الابيض ! كعود الحديد المحمى عندما يطول وضعه على النار وتحتد ضراوته ، ينقلب احمراره الى بياض . دفعتني تلك اليد بفظاظة دفعة احسست معها بانفاسي تتهاوى مرتدة في حلقي كانها اطفال مذعورة تهرع الى بيتها في تزاحم

مرعوبة. فوقعت على وجهي في طين الحقول، فضحك السادة البيض ضحكا كثيرا مرحا صخابا . ومدها .. صاحب تلك اليد الشقراء .. مرة اخرى وضغط على راسي حيث انا .. عند قدميه .. حيث طرحني على الارض . ومرغ وجهي في الطين ـ هذه الناحية .. ثم تلك .. ثم مرة ثالثة هذه الناحية ، حتى امتلاء فمي بالطين وعيناي.. وانفي .. وحلقي . وهو يقهقه ، ولمة من ضيوف كانت معه تقهقه . ثم انتشلني من قفاي انتشالا باطراف اصابعه ، لارحمة بي ولكن زيادة في لهو واستزادة لضحكاتهم لا ؟ السنت ملكة ؟ شراماله ؟ حياتي في يده ؟

فرحت اركل الهواء بذراعي .. وبراسي .. وبساقي كضفدع .. كعنكبوت الحقول السوداء .. كخنفساء ـ هكذا وصفني السادة البيض على التوالي وهم ملتفون حوالي

وقد ظل السيد الابيض يرفعني من قفاي في الهواء ، ويهبط بي ، يرفعني ويهبط بي لا اكاد المس الارض وانشب اظافري فيها اتعلق بها في استماتة ـ بكلتا يدي الصغيرتين السوداوين وبكلتا قدمي المشققتين ، حتى يرفعني بعيدا عنها . فاركل الهواء .. واركله .. واركله كانما اعوم في فضاء، في فراغ . فيهبط بي ، فلا تكاد كفي تلمس الارض حتى يرفعني الى اعلى ويهبط بي ـ يرفعني ويهبط بي بقوة .. بقوة بلا هوادة .. بلا توقف كانني لعبة معلقة بخيط .. والضحك حولي .. والقهقه .. والسخرية .. وراسي يؤلمني .. والدنيا تدور بي .. واريد امي ـ اريد امي جدا، لكن امي ليست هنا ، بل هي بعيدا تعمل وتعمل في حقول القطن . امي ، امي! اين انت !

.. والسيد الابيض لم يتوقف ، لا يتوقف : قابض على قفاي ، يرفعني ويهبط بي .. يرفعني ويهبط بي !

فاستجمعت قواي الطفلة ولويت عنقي الى الخلف نحوه وانا في ذروة بلائي .. في ذروة الامي . واتقضضت على يده اعضها . بكل شقائي وبؤسي .. بكل ذلي عضضت يده! بتعاستي كلها .. بالامي كلها .. بدموعي المتحجرة كلها غرزت اسناني في لحمه الابيض . غرزتها . ونيتي كانت ان اظل مطبقة بفكي عليه هكذا الى الابد ـ وان مزقوا لحمي .. وان خلعوا عيوني .. وان قطعوا رقبتي !

وقد صرخ صرخة نكراء، ونفض يده بي يهزها في عنف .. في قوة .. في ذعر كانما تعلقت بها عقرب دون جدوى . اغمضت عيني واستمت في التعلق بلحمه الابيض، وانا ادعو الله وادعوه وادعوه ان يقف في صفي مرة ـ هذه المرة فقط يارب! السادة البيض لديهم كل شيء ، ونحن السود لا شيء ـ لا شيء، قط يا رب الا انت ! يا رب ! .

... والسيد الابيض يتلوى ويصرخ وقد اطاش لبه الالم وسال دمه على صدغي ـ فما راى دمه مراقا باسناني ، انا الزنجية التي لا اصل الى ركبته حتى التاث ،فهوى في جنون .. في لوثة .. في رعب قاتل على ظهري بيده الاخرى ضربا ولكما ولطما، يغرس اظافره في لحم ظهري ويشدني منه ويشدني ، وساعدته كفوف ضيوفه البيض المتفرجين بالصفعات المجاملة على فخذي.. ووجهي .. وراسي .. وذراعي ..وساقي ـ بدني كله اثخنوه بالضرب وبالجراح. وتكاثرت على الايدي .. وتكاثرت على الامي .. وتكاثرت على اوجاعي .. وغلبوني. فهويت . هويت في تلك الهوة السحيقة الرجيمة التي بلا حدود .. بلا قرار .. بلا شعور .. بلا الام !

وعندما فتحت عيني ، ظنتني قد مت فقد كانت تحيطني عشرات وعشرات من الوجوه السود تطل علي . ولكني لم اخف بل رحبت بالموت ما دامت امي معي ـ فقد كانت امي فعلا معهم تنحني على بوجهها الجميل .. قلقا باكيا .. وثدياها النافران يلمسان وجهي بحنان ، كانما هما ايضا قلقان ويتحسانني لانهما يريدان ان يطمئنا ! فابتسمت . وتنهدت اغمضت عيني . ومرة ثانية هويت الى تلك الهوة السحيقة الرجيمة التي بلا قرار .. بلا حدود .. بلا شعور .. بلا الام !

وعندما شفيت ، بكيت ذلي على كتف امي بكيت ، وحدنا .. في كوخنا .. في ظلمة الليل .. والعبيد السود نيام .. والسادة البيض نيام . احكي لها .. وهي تصغى.. والدموع تلتمع كالفصوص في عينيها .. وشفتاها الغليظتان خط رفيع .. وذراعاها حولي متوترتان ، وقلبها تحت راسي يدق يدق ! لكن السادة البيض لم يروني ابكي

وهذا ما اردته . هذا المهم : لم يروني ابكي ذلي ، ولا انا تاوهت امامهم ، ولا انا طلبت منهم رحمة . عضضتهم فتركوني ضربوني وجرحوني لكنهم تركوني . اضطررتهم ان يتركوني وانا بنت خمس سنوات !ومنذ ذلك اليوم لم تعد اليد البيضاء تدفعني في نزوة لهو لاقع على وجهي في الطين . حقا قد عاقبوني يومئذ على فعلتي وضربوني.. وسبوني .. وسجنوني في كوخ امي اسبوعا طويلا ـ لا اخرج ولا اشم الهواء.. ولا ارى الشمس . وقطعوا عني خلال الاسبوع راتب الطعام الذي يصرف لكل منا يوميا كالبهائم . فعلوا الكثير . لكني لم اعد لعبتهم .

ولم اعد مجرد طفلة سوداء اخرى ـ لا بالنسبة للبيض ولا للسود . البيض تركوني وشاني ساخطين ، والسود تجمعوا حولي مبهورين . قط من قبل في مزرعتنا لم يحدث ماحدث ـ ولا اقل مما حدث. حدث الكثير في الجانب الاسود ، لكن كرة الالم لم ترتد مرة لتذيق البيض مما يقاسي به السود . حتى جئت انا . طفلة سوداء لا اصل الى ركبة العمالقة السود من قومي الذين يحرثون الارض بدل الثيران، ولقنت الجانب الابيض درسا .

رفعت اول راية للثورة بطريقتي الساذجة البدائية الفطرية ـ لكنها طريقة ! واشعلت اول شرارة للثورة ـ شرارة صغيرة مسكينة ضئيلة ، لكنها شرارة ! واومات الى قومي اشير الى طريق الخلاص بلا وعي ، بلا قصد . لكنها ايماءة ، ولكنها اشارة! فاندلعت في عقولهم الفكرة ، الامل ،الهدف!

فتجمعوا حولي مبهورين ـ انا ، بنت السنوات الخمس ! وقالوا لامي :

ـ حافظي عليها !

واجابتهم امي :

ـ حاضر !

... كانما تحتاج هي الى توصية ،او كانما لهم حق علي !

ثم حدث ان اختارت زوجة السيد الابيض ـ دون زمرة نساء العبيد التي تعمل في حقول القطن ـ اختارت امي لترعى اولادها. فكانت امي ترقب بعين ثاقبة وبعقل واع ما تفعله سيدتها البيضاء لابنائها ، لتطبق ما تفعله على انا ، تنظيف تنظيف يوميا: الوجه والاسنان .. والشعر .. والاذنين

وما خلف الاذنين ، بامكانيات متوافرة بهرت امي. ماء كثير وصابون كثير وثياب كثيرة - نظيفة فيما يبدو، لكنهم مع ذلك يلقونها عنهم يوميا ويستبدلونها بغيرها - وامي ترى .. وتتأمل وتتعلم مشدوهة مبهورة.. وقد انتقلت الى دنيا غير دنيانا !

وكانت امي تتفانى في عملها عن اخلاص غريزي في خلقها . ترعى الاولاد البيض بأمومة دافقة ، صادقة . فصارت امهم البيضاء تعطيها ملابسهم القديمة .هم .. السادة البيض .. يسمون تلك الملابس - قديمة - ، ماداموا قد ارتدوها موسما واحدا . لكنها في نظرنا نحن العبيد السود كانت جديدة .. رائعة .. بل فخمة غاية في الفخامة . فكانت امي تحتضن تلك الثياب بفرحة شديدة . وعندما تعود الى كوخنا الصغير .. كوخنا انا وهي .. توقظني من نومي وتظل تلبسني ثوبا من وراء ثوب . ثم تناولني كوز الصفيح الذي اعتادت ان تملأه بطعام من بيت الاسياد - نصيبها الذي يعطونه لها . لا تأكله . لا تبتلع بلقمة النهار طوله ، بل تحتفظ لنا .. انا وهي .. بأي شيء يعطونه لها داخل هذا الكوز الصفيح . وآخر الليل.. وحدنا .. وانا افرك عيني من فرط نعاسي في حضن امي .. نأكل - وبالحرى - انا التي آكل . تترك لي امي الكوز الصفيح مترعا كما هو فوق ركبتي . فانبش فيه بأصابعي الرفيعة السوداء ، كأنما هاجمت كوز الطعام جموع ديدان كثيرة تدب داخله . وحين اشبع اتنهد من اعماقي واميل برأسي استند الى الكتف الحنون . وانام.
ومع نجمة الصبح الاولى ، توقظني

وتتمتع بتنظيفي قبل ان تنظف اولاد السادة البيض .. وتلبسني ثوبا نظيفا ..وتمشط لي شعري وتقتل اية حشرة تجرؤ على العيش بين جذوره . ثم تطعمني .ثم تنظف كوخنا . ثم تهرع الى عملها قبل ان تفكر الشمس في الشروق على الدنيا ! .

تذهب امي . وتترك لي نهارا طويلا اتجول فيه وافعل ما اشاء - لا ! لا افعل ما اشاء ، بل ما تشاء امي . وامي كبيرة القلب . شاءت لي ان انقل ما تعلمته منها الى اترابي من اطفال العبيد - حفاة .. عراة .. جوعى .. مرضى ، لهم سحن جلد على عظم .. وكروش منبعجة .. وسيقان معوجة . لكني جمعتهم حولي

وجلست وسطهم فوق الحجارة ، لا في طين الحقول ولا فوق التل القمامة - وذلك اول درس . وبدل عجين التراب والروث واسراب الذباب الذي يلبد في اجفانهم قدتهم صفا طويلا وسرنا .. لا بلا هدف .. ولكن الى الجدول . وعلمتهم النظافة التي تعلمتها من امي - وذلك ثاني درس علمتهم ان يغسلوا وجوههم يوما بعد يوم ، وعلمتهم ان تمتد اصابعهم الى آذانهم وما وراء آذانهم وان يجعلوا الاصبع السبابة تدخل الاذن وتصطاد القذارة خارجا . ثم جاءت لنا امي بطريقة جديدة : تقتطف لوزة قطن وتنظف آذاننا وقد علمتهم ان يحكوا الفراء الجعد الذي ينمو فوق رؤوسهم بحجر وان يستحموا في النهر . ليسوا كلهم . منهم من رفض بيأس - ما الفائدة وغدا سنتسخ مرة اخرى ! فادفع يأسهم بالحماس الذي شربته من امي : نستحم مرة اخرى! هكذا على الدوام ! هكذا على الدوام !

فاحتضنتني امي بقوة وعيناها ضيقتان بعيدتان . وطلبت مني ان اصلي في قلبي - اصلي واصلي ! ولا اكف عن الصلاة . كيف يا امي ! لم افهم. فهمتني . امي فهمتني - ظلت تفهمني .. ليلة بعد ليلة .. في السكون .. في الظلمة . في وحدتنا عندما تعود من عملها المضني. تأخذني في حضنها وتفهمني ليلة وراء ليلة ، تقول وتعيد ما تقول. القلب ، مادمنا قد جعلناه مثابة لربنا، يجب ان نكنسه وننظفه ونعبقه بالبخور. بخور ! لكت الكلمة في عقلي . بخور في القلب ! كيف يا امي ! كلمة حلوة للناس - ساعديهم يا بنتي .. لا نقود لدي يا امي لا ساعدهم . فالقت بنظرتها عبر رأسي وانا على ركبتيها كأنما تحادث جموعا من ناس يملأون كوخنا حولها: بذراعك ساعديهم ، بلسانك ..بعطفك .. بحنانك . كنز هذا لا قرار له . كنز له عبير يحبه ربنا. وهكذا فهمتني ببداهتها .. بفطرتها .. بغريزتها فهمتني .. بسليقتها .. بلهفتها .. بعنف حاجتها الى ربنا فهمتني . افهمتني كيف احالت قلبها الى بيت لربنا تصلي له فيه ولا قوة هناك على الارض تستطيع ان تهدم بيت ربنا الذي اقامته بين ضلوعها !

قالت لي امي هذا واكثر . وطلبت مني ان ابني بيتا في قلبي لربنا انا ايضا

وطلبت مني ان اعلم الاطفال العبيد ليبني كل منهم بيتا في قلبه يصلي لربنا فيه ، ويسبح له . ويغني في مديحه اغنيات تؤلفها امي لنورها ودموع لا تسيل تملأ مقلتيها وصدرها يعلو ويهبط وهي تغنيها بصوتها الشجي .. وانا لا تحس بي وهي تغني لربنا او تصلي له . لعلها اللحظات الوحيدة التي لم تحس بي .

ثم صارت امي تغني راكعة مفترشة ارض الله الواسعة . هناك في الخلاء .. خلف كوخنا .. وانا عند مرفقها .. وصفوف العبيد السود راكعة خلفها تردد ما تقوله امي بصوت عميق رهيب كالهدير.

وفاجأنا السيد الابيض ذات ليلة ، يتلصص خلفنا متسللا بين صفوف المتعبدين الخاشعين . فانقض بوحشية على الواح الخشب التي اقامها العبيد بعد ساعات العمل والتي شكلوها اعمدة لا سقف لها بعد . فسواها بالارض .بل اضرم فيها النار . انهال بسوطه يمينا وشمالا يشتت اجتماعهم ويسوقهم الى حظائرهم . وبالسلاسل كبلهم وسجنهم بلا ماء ، بلا طعام . عقابا لهم .يبنون بيتا لله ! كيف يجرؤ هؤلاء .. هؤلاء الجرب .. هؤلاء الحثالة .. هؤلاء الحيوانات ! لا. لا. ليسوا بحيوانات فان لتلك منزلة اكبر ، منزلة اعز واكرم!

وارتفع انينهم في طلب الماء . انين يمزع الاحشاء . لكن لم يجرهم احد. السيد الابيض هدد برصاصه من يقترب منهم . لكنه رحل بعد يومين في رحلة صيد بدعوة من سيد ابيض آخر في مزرعة مجاورة .

فلم تتحمل امي انقضت على باب الحظيرة بفأس وحطمته .. بعافيتها .. بذراعيها .. بغضبها..بثورتها حطمت باب الحظيرة .. فتدفقت النساء السود الى الداخل يولولن ، وكل تبحث عن زوج او ابن او اخ . ودخلت امي تحمل على رأسها دلوا مترعة بالماء العذب ومغرفة . وراحت تسقي من ظل على قيد الحياة من العبيد وتنقله على ذراعيها القويتين الى الخارج - الى الشمس .. الى الهواء .. الى الحياة وقد مات الثلاثة من المسجونين .فساعدت امي في حفر قبور لهم وارتمت على ركبتيها .. فوق الحجارة ..تحت السماء العارية .. تصلي . وركع خلفها العبيد ، زمرا

زمرا . وارتفع صوت امي بتسابيح وبغناء طويل نائح . وقد دفنوا الموتى في ضوء القمر ، تلك الليلة .

و في الصباح ، قامت القيامة !

عاد السيد الابيض والسيدة البيضاء واولادهم في عربة مطهمة تجرها ثماني خيول تتقافز من فرط قوة وصحة . عاد غاضبا ثائرا هادرا بل ضاريا لما حدث. كيف تجرؤ امي على ما فعلت ! كيف تنقذ من اراد لهم الموت – حكم عليهم بالموت! ويلها ! ويلها الزنجية بنت الزنوج !

فانقض عليها واصابعه الخمس متشبثة بجذور شعرها الجعد ، يسحبها منه .

ومزق قميصها يعري بدنها الغض، ليقفز نهداها في وجهه كانهما يتديانه. فاطفا سيجارته في المنقار الدقيق على راس كل ثدي. منقار كانه شفتا طفل مضمومتان في نتوء ، في غضب .

فتفصد العرق حبات كبارا على وجه امي لكنها لم تتحرك ، فقط اختلج بدنها الابنوسي كانما تسري فيه كهرباء ،ومع ذلك لم تصرخ ولا هي احتجت . الذي احتج كان طفل السيد الابيض . افلت من ذراعي امه وانطلق الى حيث وقفت حاضنته عارية دامية في ذروة مذلتها . واحتضن ساقيها . ورفع وجهه البريء اليها كما يفعل دائما كلما ارادها ان تحمله . فلما اندفع ابوه يجذبه بشراسة من كتفه بعيدا اطلق صرخة نكراء راعبة وتشبث بعنق امي ، وقد انحنت عليه، وراح يصرخ ويصرخ . ولم يكف عن الصراخ . فطاش لب السيد الابيض واحتدت ضراوته . واشتد عناده. وللحظات دارت معركة كاد يهلك فيها الطفل لولا ان امي ارتمت بدائيتها على الارض والطفل في حضنها وقد قوست بدنها تحميه تحته . فانهال السيد الابيض ملتاثا بسوطه على ظهرها . ظل يضربها ويضربها كانما لابد ان يتنفس هكذا عن غليله من صنف العبيد .

وعادت امي الى عملها :

عادت جريحة مهيضة الجناح ، ولكن ليست مهيضة الروح ! ابدا ! عادت متفتحة الذهن متوقدة الخاطر ، ثائرة. ثائرة . كل ما فيها يغلي . لا يمكن ان تستمر الحال كما هي – لا يمكن الا يمكن ان تهدر ادمية ابنتها بدورها عندما تكبر . لا يمكن ! ولكن ماذا تفعل امي التي يصرف لها السادة البيض مع قومها راتبا محددا من ماء وطعام يوميا – هم والابقار والاغنام والخيول! ماذا تفعل امي؟ ماذا تفعل وعي في الحضيض . وقد خطت لي في خيالها مستقبلا بين السحب ، فلم ترض لي بالمستقبل الذي تخرج اليه مسوقات كالابقار بنات العبيد السود، لا حول لهن ولا قوة ، بل لاتفكير لديهن في غير هذا المستقبل الذي خرجت اليه من قبل امهاتهن !

لا. امي خطت لي مستقبلا اخضر. مستقبلا درجات سلمه الاولى : ماء كثير وصابون كثير .. وثياب نظيفة .. وبدن نظيف .. وصحة وعافية .. وطعام كثير .. وفاكهة كثيرة .. وهواء وشمس ونور اذابت يديها خدمة لتستخلص لي لقمة وسترة . والان اضافت الى قائمة احلامها: العلم ! اجل العلم العلم ! ولكن كيف؟ ومن اين ! ومن اين ، وكلها اشياء كالخيالات ، تتراءى لنا معشر العبيد كالمستحيلات.. كالاعاجيب .. كالخرافات التي ترويها الاساطير !

ولكن امي راتها بعينيها لمستها بيدها وهي تخدم في قصر السادة البيض .اذن تلك ليست مستحيلات ، بل ممنوعات. اشياء محرمه علم فئة من ناس ، دون ناس ! ناس يحكمون ، وناس يحكم عليهم . ناس لهم الشمس . وناس لهم الطين !

فكان ان اخضر اول نبت في عقل قومي : التفكير ! ثم زها من بعده نبت آخر .. ثم نبت ثالث .. ثم رابع .. ثم خامس .. مقارنة .. تذمر ..مساواة .. كرامة .. حرية .. ثورة ! كلمات جديدة واراء جديدة انبثقت كان عن لمسات عصا سحرية ! زهور غضة فتية عفية متوهجة انبثقت في تلك الحقول البكر التي بسطها الخالق بسخاء داخل رؤس قومي ! وتماوجت غابات الجدود مزدهرة يانعة بالافكار الجديدة المتكاثفة في عقول اهلي وناسي ! افكار فياضة جياشة متدفقة كشلالات تلك القارة الشامخة ، افريقيا ! الله ! ما احلى الكلمة ترددها روحي وتختلج بها مشاعري ما اجمل ان تنتسب الى تلك القارة التي ناسها ناسك واهلها اهلك . لايستنكرون لونك .. ولا يتقززون من معاشرتك.. ولا يستقبحون قسماتك ، بل يشبهونك – كانما تتطلع اينما التفت الى مراة متعددة الزوايا !

افريقيا – تلك القارة البعيدة البعيدة التي نحن منها ولم نرها . وان دوت طبولها دفاقة في عروقنا تدفعنا الى نفض العبودية عنا ! طبول هي نبض عروقنا تلهب حماسنا وتثير شهامتنا لنهب لدك صرح الظلم ، ثم نقف على انقاضه مرفوعي الراس نتنفس حريتنا ، انسانيتنا! وبايدينا نحن لا بايدي غيرنا – ايدينا العارية السوداء الخشنة نستخلص حقوقنا البشرية كاملة غير منقوصة كما ارادها الخالق ! ونمارس حياتنا ، نشكلها ونكيفها ونحياها – حياة بناءة خصبة مورقة مثمرة .

لا. لم نعد اغنام . منذ عضضت اليد البيضاء التي دفعتني في طين الحقول فتركتني وشاني لم نعد اغنام . لم نعد عبيدا قلبا وقالبا قلوبنا وارواحنا انطلقت الى آفاق بلا حدود ، بلا قيود آفاق اذهلتنا بحقيقتها .. ببريقها .. بتوهجها .. بامكانياتها .. بامكان وجودها ! فانكفا قومي على الامال في صدورهم يهدهدونها، يتعهدونها . واندلع في ارواحهم حماس للحياة ، ودبت في اجسامهم الابنوسية قوة فوارة . باتوا واثقين ان الخلاص قريب وان لم يعرفوا كيف ولا متى .لكنه آت لا ريب ! فاستعدوا له مترقبين متربصين . واشرابوا بخيالهم نحو قارة الجدود . افريقيا شرر الثورات فيها الهب دماءنا والثلج قلوبنا ، كانما هنا عيد كبير فيها لا ينفض . وتلك نيران اوقدها اهلونا للاحتفال . وحيوية رقصاتها اورثتنا اياها مع لونها ! فباتت اقدامنا تتقافز بلا وعي منا ، مضطربة متحفزة، كانها الخيول الاصيلة في مربطها اشتمت برهافيتها ريح السبق – السبق الى الانطلاق !

وكان اول من انطلق امي !

عادت من عملها وعيناها تتراقصان .. وضحكاتها تتراقص .. وخطواتها تتراقص كانما تعزف حواسها الحانا تتقافز هي على وقعها . فاختطفتني اختطافا من فوق فراء الخروف الذي انام فوقه في كوخنا، ودارت بي ترقص .. لاتغني .. ولاترنم

– التتمة على ص ٤٦ –

استراق السمع

شعر : ميشيل حداد / الناصرة



صنعتها بيدي فاطبقت على عنقي ،
وسمته بشعائر الرق
لم تبق لي حتى مغازلة المرايا .

احلم بأجنحة تعبر بي الى شواطىء ضاحكة ،
على انطلاق أمواجها ارتشف صبواتي ،
واعانق اسباب مولدي .

أدوس العنقاء فاذا هي بلا كرامة .
افتح للاخطاء جميع ابوابي فتتسلل
صوابا الى داخلي .
افقه كيف اعبر واحتار امام التحصيل .
استرق السمع واخطف اشيائي ،
وحين تمسك بي اصابع النهم ، تعري
حاجتي ثم تناوش وهي على الاكتاف .

من أوراقي القديمة

حكايا الغد

شعر : شفيق حبيب / الناصرة

كان لي بالامس عن حبي حكايا
بعض عمري ضاع وهما ، انما
حسب بعض العمر وردي الشذا
أي انثى تلك كانت ؟ جمعت
أين افروديت ؟ لا احلى ، ولا
نسوة الدنيا ظلال ، ما رنت
نظرة من ناظريها زرعت
كان قلبي البكر أرضا خصبة
بذرة الحب ، تعالى فرعها

من خيوط الحلم وشاها هوايا
تلك ذكرى فوق أحزان الرزايا
كان يوما ، حسبه كان خفايا
قمة الحسن وعطري السجايا
غيرها قد جسدت يوما منايا
ذات يوم لسواها مقلتايا
حبة من حبها ، طي الحنايا
نعم أرض لم تدنسها خطايا
صنتها بالنفس ، حاطتها يدايا

* * *

هبت الريح على عش لنا
كل يوم قصة تسمعها :
هذه تعزيتي في محنتي :
انا ان احببت يعميني الهوى
كل هذا كان بالامس وما

بات ما عشنا له يوما ، بقايا
شاعر تصرعه احدى الصبايا
ان لي في الغير عن حب حكايا
هذه النعمة لاتعطى سوايا
كان بالامس شظايا من مرايا

قاسم كيوان

معسكرات اللــذة

قصـــة

كنا ثلاثة نحمل ظلام الليل على اكتافنا بينما نسيم رطب يلامس وجوهنا المعروقة واحساس غريب يدفعنا نحو تلك التلال العاريه التي بدت لي قبرا فاغرا فاه يريد ابتلاعنا وكم خطر ببالي ان عدوا يتربص بنا وقد صوب بنادقه الى صدورنا لذلك كنت احملق في الظلام فاتحا عيني على اتساعهما لكي ابصر جيـــدا طـــريقنا المحفوف بالمخاطر ، ورغم انني لم ارفع يدي عن الزناد لكن يأسا بغيضا سيطر علي واثقل اعصابـــي بأنات الثكالى والارامل ..

الظلام مازال ينمو امام اعيننا وقد بلل اجفاننا بحيث لم استطع ان ابصر رفيقي حين ارتطم احدهما بغصن شجرة منخفض وتعثر الاخر برتاج ملقى في طريقنا .

ـ «آه لو نستجدي دعوات الموتـى ونحـــن نغمس وجوهنا بالوحل ونقطف ارواحنا علقت على حبال مطاطيه» لولا ذلك الصوت ، المنبعث من جوف احدنا وكانه قد عبر القارات جميعها حتى وصلنا وايقظ فينا رائحـــة الموت ، لولاه لما مزقنا جسد الصمت الجاثم فـــوق صدورنا :

ـ «صوتها الغجري حفر في قلبي انشودة النصر وصورا لمراكب الخيل الحديدية» .

ـ دعك من هذا الهراء ولنفكر بمانحن مقبلين عليه.
اتسعت دوائر الصوت حتى بلغت افقا مجهولا وقـــد تجلت في مخيلتي خطة الموت التي رسمها لنا القـــادة ودفعوا ثمن ارواحنا مقدما ..

ـ ٢ ـ

لم يساورني شك اثناء مهمتنا الا في المرحلة النهائية اذ ان وحشية التعذيب انهكت قوى من اعتمدنا عليهم وفتتت اعصابهم على كؤوس الشراب ، ومع هذا شربنا حماقتنا مع اخر صوت اطلقه طفل صغير قتله احـــد رفاقنا ومزق جسمه بسكين حاد على مرأى من اخويه المعتقلين ..

ولكن هذه الابتسامات السخيفة اروت اجسامنا بلذة عميقه قذفناها في ثياب السبايا ولعقنا المداد الاصفـــر دون ان نشعر بمدى تفاهتنا ، فلم استطع ان اكبـــح جماح نفسي في الوقت الذي كان فيه رفاقي يمتطون ظهر الغسق الاحمر وقد امتقعت وجوهم وثارت عـــلى اجسامهم موجة دافئه من الغبار ..

حدث كل هذا وصدري يكاد يختنق من الرائحـــة التي سدت خياشيمنا .. رائحة غريبه لم اتبينها .. ولم ادر من اين اتت .. لعلها رائحة الفسق والفجور الذي تعيشه فئة منا ؟ او لعلها رائحة ماكولات شهيه تصنعها لنا فتيات المعسكر ؟

وبدلا من ان تذوي هذه الرائحه وتختفـــي ازدادت فاعليتها حتى احسست برأسي يكاد ينفجر بينما كانت هناك فتاتان تمزقان ملابسي وتبحثان في جسمي عـــن شيء غريب اظن انه بدأ واضحا خلال الدخان المنبعث من محركات السيارات والطلقات الناريه فوق تلـــك التلال العارية المخضبة بدمع السكارى والحالمين بينما كنت في تلك اللحظات احس بنشوه غريبـــة سرت في جسمي ولم احاول تحريك رأسي او جسمي لان شيئا ما ضغط على اعصابي وامات في ارواح اللذه ...

ـ ٣ ـ

كان السأم والخوف يتمطيان في جسمي بعد ان طرحنا على مائدة القمار بقايا تفكيرنا النقـي ، السأم لذيـــذ والخوف ايضا لكن اللذه تتفاوت بينهما ..

لقد كنت ممن يهوون نوعا خاصا مـــن الغانيـــات فاحضرت بعضهن معي لقضاء ليلة حمراء ولاغسل دماغي قليلا بثلاث لذات في ان واحد حتى لا تضيـــع ايـــام شبابي هباء منثورا ..

الاحساس بالجرم كان يفتت اعصابنا عند اقـــدام اللذه وهذا ما جعلنا نمضغ من اجساد متعفنه وناكلها

ـ التتمة على ص ٣٠ ـ

الأصول العربية للكوميديا الالهية

بقلم : دكتور حسين مؤنس

كان الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم من مكه الى بيت المقدس ثم عروجه منها الى السماء ليلة السبت ١٧ رمضان سنة ٢ قبل الهجرة على ما يجمع عليه اهل السيرة والتاريخ ، وهذا التاريخ يقابل ٢٣ اغسطس سنة ٦٢٠ ميلادية .

وفي ذلك الحين كان الرسول الكريم يجتاز اعسر فترة من فترات كفاحه في سبيل الدعوة : كان الجانب الاكبر من اصحابه قد هاجروا الى الحبشة يعانون فيها من نفى اختاروه بانفسهم نجاة بدينهم ، فبقي صلى الله عليه وسلم في نفر قليل جدا من اصحابه .

وكان الحصار الذي ضربته قريش على بني هاشم وبني عبد المطلب قد رفع وانتهت المقاطعه فيأوائل السنة الثالثة قبل الهجرة (٦١٩م) ، ولكن الحصار كان قد اتى على اموال اهل البيتين وضاعت تجارات الكثيرين منهم ، فلما مات أبو طالب قرب نهاية السنة الثالثة للهجرة كانت القوة في مكة قد انتقلت الى ايدي أهل المال والجاه من بني عبد الدار ومخزوم وتيم بن مرة وسهم وجمع ، فضيقوا الخناق على الاسلام والمسلمين ، وعندما صارت رياسة بني عبد المطلب الى عبد العزى المعروف بابي لهب تبين رسول الله ان مستقبل الدعوة لم يعد في مكة أصلا وان شجرة الاسلام يجب ان تبحث عن تربة صالحة جديدة تضرب جذورها فيها وهواء جديد فسيح تتنفس فيه ..

وبعد موت أبي طالب بقليل جدا - يقال ثلاثة ايام - ماتت السيدة خديجة زوج الرسول وصاحبته الوفية ورفيقة ايام الرخاء والهدوء قبل البعثة وايام الكفاح والالام بعد البعثة ، ذهبت الى ربها وسحابات الحزن تظل حياة زوجها العظيم . وقد خلفت له بناتها رقية وأم كلثوم - وقد طلقهما زوجاهما ولدا أبي لهب - وفاطمة وكانت لا تزال اذ ذاك صبية صغيرة .

ولاندري ان كان الاسراء قد حدث قبل خروج الرسول الى الطائف او بعده ، فان معظم كتب السيرة تقول ان الخروج الى الطائف كان في شوال سنة ١٠ من البعثة اى بعد الاسراء بشهر ، ولكنها مع ذلك تضع الاسراء بعد الطائف في ترتيب الحوادث ، بل ان بعضها يجعله قبل الهجرة بسنة واحدة ..

على اي حال كان الاسراء والمعراج خلال أقسى ظروف مرت بمحمد صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين في مكة كما رأينا .

وكان الرسول ليلة الاسراء في بيت ام هانيء بنت أبي طالب ، وهي ابنة عمه وكان كثيرا ما يلجأ الى دارها يلتمس شيئا من الراحة والهدوء اثناء الصراع العنيف الذي كان يخوضه مع اعداء الاسلام من ناحية ومع متاعب الايام من ناحية اخرى .

وكانت ام هانيء اول منسمع حديث الاسراء والمعراج من الرسول ، وقد نصحته بالا يحدث به الناس فان ذلك - في رايها - يفتح الباب لقريش للنقد والهجوم والتكذيب ، ولكن الرسول كان لابد ان يبلغ كل شيء ، والبلوغ من واجبات الرسالة الاولى . فتحدث به وتناقله الناس ما بين مصدق ومكذب ، واحرج نفر من المسلمين فتخلوا عن الاسلام ليخلصوا من سخر قريش ونقدها اللاذع ، وآمنت بالحديث البقية الصالحة وعلى رأسها ابو بكر الذي اعلن يومها انه يصدق محمدا في كل ما قال وكل ما يقول ، فسمي الصديق واكتمل اسمه فاصبح ابا بكر الصديق .

الاسراء والمعراج في القرآن الكريم

وقد ذكر الله سبحانه الاسراء في الاية الاولى من سورة الاسراء وهي السابعة عشرة من سور القرآن (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير) .

اما المعراج فيرى المفسرون انه هو المقصود بالايات ١ - ١٨ من سورة النجم وهي الثالثة والخمسون من سورة القرآن ، فيها اشارات ودلالات كانت فيما بعد ميادين واسعة للخيال الشاعري الاسلامي فيما ابتكر من الصور على اساس المشاهد التي رآها رسول الله

(صلعم) في صعوده الى السماوات ومروره بالجنة والنار والاعراف وساورد فيما يلي نص هذه الايات وما تضمنه من اشارات :

والنجم اذا هوى ، ماضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى ، وان هوالا وحي يوحى ، علمه شديد القوى ، ذو مرة فاستوى ، وهو بالافق الاعلى ، ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين او أدنى ، فأوحى الى عبده ما أوحى ، ما كذب الفؤاد ما راى ، أفتمارونه على ما يرى ؟، ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، اذ يغشى السدرة ما يغشى ، ما زاغ البصر وما طغى ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى .

وقد كانت كل كلمة من هذه الايات الرائعة مفتاحا لميادين واسعة من المناقشات بين أهل العلم والتفسير ، وميادين اوسع من الخيال المبدع عند اهل التصوف وارباب القلوب وأهل الخيال والفن في جماهير المسلمين

ماهو الافق الاعلى واين يكون ؟

وكيف كان قاب قوسين او ادنى من اين ؟

ثم «ما المراد ، بما كذب الفؤاد ما راى» ؟ هل الرؤية تكون بالقلب ؟ واذا كانت فهى اذا كانت كلها رؤية قلب اي احساسا لارؤية عين ومشاهدة .

وما المراد بالمنزلة الاخرى ؟ مرة أخرى ؟ ربما وربما لا ....

وسدرة المنتهى ما هي ؟ اهي شجرة هائلة وارفة الظلال «ورقها كآذان الفيلة وثمرها كالقلال» كما جاء في الاحاديث ، أم هي آخر مكان ينتهي اليه الصاعد الى السماء من الانبياء والمرسلين والهابط من السماء من الملائكة المقربين ، فهي حد ما بين السماوات والارض «يخرج من اصلها انهار من ماء آسن ، وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين» ؟

ام هي «شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما ، وان ورقة منها لتظل الخلق كله» ؟ ام هي نجم معروف في السماء اسمه في علم الفلك القديم Sedera Uetima وهي تقابل بالضبط لفظ سدرة المنتهى ؟

وما هي جنة المأوى ؟ هل هي الجنة التي وعد بها المتقون ام هي جزء منها واقع قرب سدرة المنتهى على الحدود بين عالم الارض وعالم السماء ؟

ثم ، ما الذي غشى السدرة ؟ هل غشاها — اي مر بها فراش هائل من الذهب ؟ كما تقول الحكايات .

والبصر الذي ما زاغ وما طغى . ما أمره هو الاخر ؟ اذن رؤية ثانية ؟ الاولى كانت بالقلب والثانية كانت بالنظر ؟

وآيات ربه الكبرى ما هي ؟

أهي نفس (الايات) الواردة في أول سورة الاسراء ؟

اسئلة بعد اسئلة تتوارد على الذهن ، والقلب .

والانسان يقرأ هذه الايات الروائع التي يحس نورانيتها الكاملة الصوفي المشرق بروحه نحو ملكوت الله سبحانه، والشاعر الملهم الذي تتوالى في ذهنه وهو يقرأ الايات صورا بعد صور من الجمال والخلق والابداع تصاحبها انغام سابحة في السموات التي تليها سماوات ..

كيف نشأت حكايات الاسراء والمعراج في عالم القصص

وقد فصلت الاحاديث النبوية بعض ما اجملته آيات القرآن .

ولدينا من هذه الاحاديث جمع حاشد مفرق في الصحاح والمسانيد وكتب الشمائل النبوية من امثال عيون الاثر لابن سيد الناس ، ودلائل النبوة للبيهقي ودلائل النبوة لابي نعيم وكنوز الحقائق للنادي والشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض ، ثم كتب السيرة المعروفة واصول التاريخ الاسلامي كالطبري وتفاسير المفسرين من الطبري الى الالوسي .

وتتفاوت هذه الاحاديث من حيث الصحة وعدمها ، ويتفاوت أهل سندها من حيث الجرح والتعديل ، ومن اهل العلم من يتحفظ منها كلها مكتفيا بما ورد في القرآن الكريم مؤمنا بان الله سبحانه اسرى بعبده ورسوله ونبيه محمد الى المسجد الاقصى ، ثم عرج به الى السماء حيث رأى من آيات ربه الكبرى ولا شأن لهم بعد ذلك بما رأى ، فعلم ذلك عند الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم .

ولكن خيال الشعب المؤمن لم يشأ ان يتقيد بحدود اهل العلم .

وابى أهل التصوف والوجد والشطحات ان يقفوا عند ما وقف عنده الفقهاء ..

هؤلاء واولئك ذهبوا الى مدى بعيد في التصور والخيال .

ونشأت عن ذلك — حول الاحاديث النبوية الاولى — احاديث اوسع واكثر تفصيلا ، واقاصيص ذات تصور

شعري جمالي هو الغاية في الخلق والابتكار ..

وخلال القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي،عندما اتسعت آفاق الحضارة الاسلامية وشمل رواق الاسلام امما كبرى ذات حضارات زاهرة ، اصبحت اقاصيص المعراج لونا ادبيا قائما بذاته حشدت فيه شعوب المسلمين ايمانها الساذج مصوغا في قوالب من حضاراتها الذهبية ..

نشأت حكايات معراج في الهند ، واخرى في ايران والعراق ، وثالثة في الشام والعراق ورابعة في المغرب واخرى في الاندلس .

وقد تفاوتت هذه الحكايات فيما وصلت اليه من




دانتي

درجات الجمال وصور الفن ، لان الامر خرج عن نطاق العلم والاحاديث النبوية واصبح موضوع أدب شعبي ينطلق فيه الخيال بغير حدود ويعبر فيه الايمان عن نفسه بدون قيد .

فمن كتب المعراج قطع فنية اصيلة نجد فيها تناسق العمل الفني الصحيح وصدق تصويره واصالة العاطفة التي يعبر عنها ..

ومن هذه الكتب ما هو بعيد عن الفن الصحيح ، فهي مجموعة تصاوير وتهاويل وشطحات بعضها يقبله الذوق وبعضها الاخر لايقبله ..

وكما هي العادة سقطت في قاع التيار النماذج الجافية البعيدة عن الفن والصدق والاحساس ، وبقيت في عالم الاسلام مجموعة من كتب المعراج ذات اصالة وصدق وحسن تصوير .

ووصل بعض هذه الكتب الجيدة الى اوربا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين ، وترجمت الى اللاتينية وبعض لغاتها الناشئة اذ ذاك ، وعرفت باسم كتب المعراج (ALMIRACH) حتى لقد دخل هذا اللفظ الى اللغة الفرنسية في صورة Le Mirage ويراد به الخيال البعيد عن التصديق أو السراب .

وقد اختلطت في هذه الاقاصيص صور المعراج بصورة اخرى عن عالم ما بعد الموت ابدعها بعض مفكري المسلمين .

ورحلات خيالية الى عالم ما بعد الموت

وفي نفس الوقت ابدع الخيال الاسلامي العربي نموذجا من صور العالم الاخر يتجلى في رحلات خيالية او رؤى يزور الشاعر او الاديب اثناءها عالم ما بعد الموت ويتحدث الى بعض من فيه من أهل الشعر والنثر والظاهرين من الناس .

ولدينا من هذا الطراز رسالتان هما من امتع ما كتب العرب ، الاولى رسالة الغفران لابي العلاء المعري والثانية رسالة التوابع والزوابع لابي عامر بن شهيد الاندلسي .

ففي رسالة الغفران نجد الشاعر يتصور نفسه في زيارة الى عالم غير ارضي ، لا هو الجنة ولا هو النار وانما هو وجود ابد او انتظار طويل ، يلقى نفرا من الناس ويجري الحديث بينهم وبينه ، وهو في الغالب حديث ساخر فيه عبث بمن يتحدث عنه ودعابة معه وربما رثاء لحالة ، فميدان الرحلة في رسالة ابن القارح والرد عليها ، مدائن ليست كمدائن الجنة ، ولا عليها النور الشعشعاني ، وهي ذات اوصال وخماميل .

فيقول لبعض الملائكة : ما هذه ياعبد الله ؟ فيقول : هذه جنة العفاريت الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وذكروا في الاحقاف في سورة الجن ، وهم عدد كبير . ثم تقول رسالة الغفران بعد ذلك : فيقول ما اسمك ايها الشيخ ، فيقول انا الخيتعور احد بني الشيعبان ، ولسنا من ولد ابليس ، ولكنا من الجن الذين كانوا يسكنون الجنة قبل مولد آدم صلى الله عليه .

وفي رسالة ابن القارح نجد هذا الرجل يقوم برحلة في عالم البقاء راكبا جملا كريما من جمال الجنة خلق من ياقوت ودر . فنذكر بعض تفاصيل البراق وهو الدابة الطائرة التي حملت محمدا صلوات الله عليه من شعب ابي طالب في مكة الى الصخرة في المسجد الاقصى . ثم نجد ابا العلاء يصل الى الجحيم فيرى ابليس مضطربا في سلاسله ، ويمر في اثناء ذلك بعدد من الشعراء ،فيجد في النار بعض من كان يتوقع لهم الجنة ، ويجد في الجنة جماعة كان ينبغي ان يكونوا في النار ، ويسألهم عن

السبب فيجد انه قد غفر لهم بسبب ابيات في الشعر قالوها ، ونفهم من كلام ابي العلاء انه غير مقتنع بان هذا الشعر يبلغ ان يستأهل صاحبه الغفران .

اما رسالة «التوابع والزوابع» فقريبة من رسالة الغفران وان لم تصل الى شأوها ، فصاحبها ابو عامر احمد بن ابي مروان بن شهيد القرطبي الاندلسي (توفي ٤٢٦ – ١٠٢٤) فنان شاعر ذو ملكة اصيلة ، ولكنه ليس من اصحاب الفلسفات او النظر الجاد الى الحياة ، انما هو فنان «بوهيمي» اذا جاز لنا ان نستخدم هذا الوصف هاهنا ، وهو موهوب يبهر العقل بما يأتي به من لمحات خاطفة ، ورسالة التوابع والزوابع رحلة الى عالم الارواح ، ارواح الشعراء والكتاب ، فان لكل اديب موهوب تابعا يلهمه بديع الافكار وزابعا يلقى في خاطره السيء منها والقليل القيمة .

في هذه الرسالة نرى ابا عامر بن شهيد يتجول ، في وادي الجن ويلقى شعراء كثيرين يستنشدهم فينشدونه فيمضي ساخرا منهم لايكاد يوقر منهم واحدا ، لان ابن شهيد كان ذا ملكة ادبية خاصة لا ترضى الا عن اجود الجيد . وما يهمنا هنا ان الاشخاص الذين يلقاهم اشخاص حقيقيون نعرفهم باعيانهم في تاريخ الفكر الاندلسي . وما اورد ذكرهم الا ليقول آراء فيهم وليعرض كذلك انظاره في الادب والمجتمع والحياة .

عالم ما بعد الموت عند محيى الدين بن عربي

نوع رابع من صور ما بعد الموت يأتينا به المتصوفة ، وقد قلناقي مطلع هذا الحديث ان حديث الاسراء والمعراج كان بعيد الصدى في قلوب صوفية المسلمين وان صوره ظلت تخلب البابهم على مر العصور ، بل من فلاسفة المسلمين الذين حلق بهم تفكيرهم الفلسفي في مدارج الايمان العالية من يتحدثون عن تسامي نفس المؤمن الى السماوات حتى يطلع على بعض ما فيها ، فابن سينا يستعير صورا من «المعراج» في «رسالة الطير» فيتخذ من الطيور رموزا للارواح ويقول ان ارواح اهل الخطايا يطلقها الموت من ابدان اصحابها تحلق في السماء صاعدة الى بارئها ، وهي تعبر في هذا التحليق ثمانية أجيال هي رموز لمعاص ثمان بعددها ، فاذا اجتازتها وصلت الى رحمة الله فاضفى عليها استار الغفران .

ولم يبدع في تصوير «المعراج» احد من صوفية المسلمين كما فعل محيي الدين بن عربي المرسي أمين صوفية الاسلام بل امير متصوفة الدنيا على مر التاريخ .

توفي ابن عربي سنة ٦٣٧ – ١٢٤٠ اي قبل مولد دانتي بخمس وعشرين سنة ، وقد طاف ابن عربي بلاد الله ودخل ارض النصارى كما عاش في ارض الاسلام ، واجتذب قلوب اهل الورع من المسيحيين واستوقف انتباههم حتى لقد اتخذه رايموندو لوليو اماما ونموذجا واجتهد في محاكاته . وبالاضافة الى ما اورده ابن عربي في «الفتوحات المكية» من صور الجنة والنار نجده يخصص رسالة للاسراء يسميها «كتاب الاسرا الى مقام الاسرى» وهذه ، الاسرى الثانية (بفتح الهمزة) هي افعل التفضيل من سرى . والاسرى هو الله سبحانه .

في هذه الرسالة يتصور الصوفي المرسي عروجا الى السماء بالروح ، وهو يصف لنا كيف صعدت الروح خلال الافلاك منتقلة من فلك الارض الى فلك القمر الى فلك المشترى الى فلك الزهرة ، وهكذا ، وهي لاتجتاز هذه الافلاك على البراق وانما على الرفوف ، وهو الذي تصفه حكايات المعراج بانه «غصن غار يتشعع منه النور» وهو الذي «دنا فتدلى» ليرفع محمدا صلوات الله عليه من «سدرة المنتهى» الى سماوات القدرة ..

وعندما يصل ابن عربي «بروحه» الى سماء النور لا يتجاوز مكانه في حين ان محمدا (صلعم) اقترب من نور الله سبحانه وكلمه وصلى مع الملائكة الابرار ..

المهم لدينا ان ابن عربي وضع في وصف رحلته كل ما اتصل بعلمه من اسرار المعراج وتفاصيله سواء أكانت من اصول دينية او ادبية او شعبية خالصة ، فقد كان ابن عربي واسع العلم لم يترك شيئا الا قراه ، وقد استوعب اقوال التفاسير واصحاب الحديث وكتابات الادباء والشعراء واورد من ذلك كله اطرافا في اوصافه لرحلته ، فهو يحدثنا عمن لقى من الانبياء في كل ذلك من الافلاك ، وهو لم يتحدث معهم بنفسه لان ايمانه لم يسمح له بذلك بل مع عقولهم الخالدةفي مدارات الافلاك التي اختص الله منهم بواحد منها .

وهو يمر في اثناء ذلك بالجنة والنار وبالاعراف ، وهذا الاخير هو الذي يهمنا هنا ، لان حكايات المعراج تتحدث عن الجنة والنار أما الاعراف ، وهو عالم ما بين الجنة والنار فلا ذكر له الا في بعض كتب التفسير وفي تصورات أهل الادب كما رأينا في رسالة التوابع والزوابع .

واذن فقبل ان يولد دانتي بربع قرن كانت هناك الى جانب قصص المعراج الكثيرة قصة صوفية جمعت الكثير مما تضمنته القصص الشعبية من التطورات ، واضافت الى تصورات الناس صورا رفيعة من الصعود الى السماء

بعضها ادبي منمق تبدو فيه يد الفن بوضوح • وبعضها روحي خالص يبدو فيها اشراق النفس الانسانية باضواء الجلال الرباني • وهذه الصور كلها لم تكن مقصورة على بلاد الاسلام بل انتقلت الى بلاد اوروبا وعرفها كثير من الناس اما عن طريق ترجمات مباشرة او نقـــــول متناثرة •

دانتي والكوميديا الالهية

وقد ولد دانتي الليجيري في مدينة فلورنسا سنة ١٢٦٥ ، وتفتح في شبابه الباكر عن شاعر موهوب ينبض شعره رقة وعذوبة وسموا ، وكان فلورنسيا أصيــــلا فلم يستطع ان يقيد ابداعه الشاعري في قوالب لاتينيه كما جرت عادة الناس في عصره ، بل انشا يقول الشعر بالايطالية • فكان هذا طفورا بعيد المدى باللغـــــة الايطالية وآدابها ••

وقد أثار دانتي اعجاب الناس بكل ما قال ، ولكنه بهرهم بمنظومة رائعة صاغها على غير مثال هي «الكوميديا الالهية» وهي في الحقيقة ملحمة كبرى تصف رحلـــة الشاعر في عالم ما بعد الموت، وقد قسمها الى ثلاثة كتب: المطهر (البورغاتوريو) ، والنار (الانفرنو) والفـــردوس (البراديسو) ، ووضع في كل قسم من هذه الصــــور الرائعة المبدعة ما حير العقول • فان الخيال البشري لم يصل قط الى مثل هذا التصور الخلاق ابدا، وفي سنوات قلائل بعد نشر هذا الديوان الشاعري العظيم اصبـــح دانتي واحد من شعراء الانسانية الخالدين ، وفـــاق شعراء اليونان واللاتين وتربع اميرا للشعر الانساني حتى ظهر وليام شكسبير بعده بثلاثة قرون تقريبا •

آسين بلاثيوس ، واصول الكوميديا الالهية

في اوائل هذا القرن العشرين كان راهب مستشرق اسباني هو مجيل اسين بلاثيوس يدرس الفلسفـــــة الاسلامية في هدوء الرهبان وصبر أهل العلم ، وقــــد استوقف ابن المرسى اهتمامه فمضى يدرسه في صبر ، فاذا هو يقرأ في صفحات الفتوحات المكية فاستوقفـــت انتباهه صور ولمحات تذكر انه قرأها قبل ذلك عنـــد دانتي ، وكان مجيل اسين رجلا موسوعيا قرأ فاوعى ، عندما وصل الى الجزء الثالث من الفتوحات وجـــد في الفصل ٣٦٧ (ص ٤٧٧ - ٤٦٥) صورة للمعـــــراج الاسلامي لم يشك وهو يقرأها في ان هذه لابد ان تكون اصلا من اصول دانتي في الكوميديا الالهية •

وهنا تجرد الرجل للعمل بمنهج اهل العلم الدقيق ، فاخذ يجمع كل ما ورد في الاصول العربية عن «المعراج» بادئا بتفاسير القرآن الكريم ثم بالاحاديث النبوية ، واستوقفت نظره الاحاديث لانها هي الاصل الذي قام عليه بناء حكاية المعراج في الادب العربي •

وقد وجد الرجل ان هذه الاحاديث كثيره جدا ، ولم تكن المسالة بالنسبة له مسألة اصالة الاحاديث او عدم اصالتها ، فان بحثه يخرج تماما عن نطاق الدين وينصب على موضوع ادبي صرف • والذي يهم هنا هو التصور الفني بصرف النظر عن مصدر الحديث وسنده •

وقد تبين اسين عن سبيل الدرس والمقارنه ان هذه الاحاديث تنقسم الى مجموعات تصور تطورها تطور قصة المعراج في الادب العربي شعبيا كان ام غير شعبي •

استبان اسين ثلاثة أطوار للتطور العام لقصة المعراج وفي كل طور منها صورة مختلفة تميزها عما سبقها ، ففي الطور الاول نجد ان قصة المعراج تقتصر على الاسراء فحسب ، فهي تحكي الحكاية كلها وكانها وضعت عـــلى الارض بعد وصول محمد صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس : هناك لقى الانبياء وصلى بهم ، وهناك رأى الجنة والنار واقترب من النور الالهي •

وفي الطور الثاني ـــ وله ثلاث صور ـــ نجد قصـــة المعراج تدخل في الصلب ، وتصبح حكاية المعراج مقسمة الى جزاين كبيرين الاول هو الاسراء وما دفع فيه ، ثـــم العروج الى السماء وما صادف الرسول الكريـــم أثناءه

وفي الطور الثالث تصبح قصة المعراج عروجا كلها ، الى قصة الرحلة خلال السماوات والمرور بالجنة والنار وارض الاعراف • هنا تصل القصة الى ذروتها جمالا وصياغة • حقا ان بعض الصياغات المتداولة في ايدى الناس لاترقى الى مستوى الفن ، ولكن هناك صياغات جميلة حقا ، وجديرة بان تكون موضع دراسة والهام •

ثم أخذ اسين تفاصيل صورة الجنة والنـــار وارض الاعراف الواردة في القصص الاسلامي كله ، صـــورة صورة ، ومضى يلتمسهما في اقسام ملحمة الشاعر الالهي (كما يلقب) فوجد ان المطابقة لاتقتصر ، على الصور العامة فحسب بل تتعدى ذلك الى التفاصيل الصغيرة ، بل هناك كلمات وتعبيرات عربية دخلت ملحمة دانتي بمقابلاتها الايطالية الدقيقة •

صور متشابهة في هذه وتلك

وساكتفي هنا بايراد بعض وجوه التشابه ــ او النقل ــ لان المجال لا يسمح الا بالايجاز الشديد : في «المعراج» و «الكوميديا» نجد بيت المقدس هو المحور الذي يدور حوله العالم العلوي كله ، وفي كليهما تقع جهنم تحت موقع بيت المقدس ، وفي ادنى دركاتها نجد «مقام» ابليس في «المعراج» و«سجن لوسيفر» في الكوميديا ، وفوق موقع بيت المقدس يضع دانتي سماء الالوهية وتضع الحكاية العربية «مقام رب العرش» ومنازل الجنة في المعراج هي منازلها عند دانتي .

والاطار العام للقصتين واحد ، فان محمدا صلى الله وسلم يعرج الى السماء في صحبة جبريل ودانتي يطوف بعالم ما بعد الموت في صحبة الشاعر فرجيل اولا ثم في صحبة بياتريس عندما يصل الى الفردوس . وصورة بياتريس كما يرسمها دانتي مقتبسة من صور الملائكة كما تصفهم قصة المعراج .

وفي بعض الاحيان يصل الامر الى التطابق الحرفي ان الليمبو ، وهو جزء من المطهر (البورجاتوريو) يقابل الاعراف ، فهذه الاخيرة تفسر في معاجم اللغة بانها اطراف الثوب او النسيج وكذلك لفظ ليم بس اللاتيني له نفس المعنى ، ثم ان دانتي يضع في الليمبو ناسا لا يستحقون عذاب النار ولا نعيم الجنة ، وفي تفاسير احاديث المعراج نقرأ : «اصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيأتهم . تجاوزت بهم حسناتهم عن النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، فضرب بينهم بسور له باب : باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» ، ومن هنا فاننا نجد دانتي يضع صلاح الدين في الليمبو .

وتضع الحكاية الاسلامية كسرى انوشروان في الاعراف «لفضله وعدله رغم كفره وعدم ايمانه» .

وتتشابه صور العذاب في النار في القصتين ، ففي الكوميديا نجد رياحا سوداء تعصف باهل الزنا وهي «الريح» التي تعصف بهم في جهنم في قصة المعراج ، وهي الريح التي ارسلها الله على قوم عاد . ويقول دانتي ان عذاب المتنبئين هو سيرهم ورءوسهم مائلة الى الخلف ، وفي المعراج : «ان نجعل وجوههم من قبل اقفيتهم فيشمون القهقرى ونجعل لاحدهم عينين في قفاه . اما اصحاب البدع في الدين ورءوس الفرق الضالة فنجدهم في جحيم دانتي يطعنون دون ان يموتوا» وفي المعراج نقرأ : تذبحهم الملائكة بسكاكين ، وكما ذبحوا منهم واحد يعود كما كان ثم يذبح ، ودانتي يجعلهم يسيرون وامعاؤهم تتدلى من بطونهم والمعراج يقول انهم يسيرون «يسحبون امعاءهم» . وعند دانتي نجد الشيطان لوسيفر يعذب بالثلج وفي «الفتوحات» نقرأ : «فعذاب ابليس في جهنم بما فيها من الزمهرير ، فانه يقابل النار في نشاة ابليس » . ثم اننا نجد دانتي يتطهر مرتين في انهار الجنة ثم يلقى بياتريس ، وهذا التطهر بالماء او ــ الوضوء ــ لاتعرفه اوروبا المسيحية ، وانما هو اسلامي صرف ، وفي ــ المعراج ــ نقرأ ان الناس بعد ان ينتهي عذابهم في النار ــ يتوضاون في عين ماء بارد مثل صفاء القوارير ، اصفى من البلور وابرد من الثلج واشد بياضا من اللبن ، فيغتسلون فيها اغتسالا تاما ..

ثم عثروا على الترجمة الايطالية التي اعتمد عليها دانتي

ونشر اسين نتائج بحثه الطويل الشاق في كتاب معروف خالدفي تاريخ الادب المقارن هو «الصورة الاسلامية للعالم الاخر في الكوميديا الالهية» .

وقد طبع هذا الكتاب ثلاث مرات : ١٩١٩ ، ١٩٤٣ ثم ١٩٦١ وهذه الطبعة الاخيرة احفلها كلها لانها ضمت تفاصيل المعركة العلمية التي خاضها اسين مع الدانتيين حتي اقيمت نظريته وقدر اصولها بما لا يحتمل الشك .

ذلك ان دانتي عند الايطاليين هو نصف الادب الايطالي كله ، وعندما نشر اسين كتابة كان دانتي قدس الاقداس ، فما راع الناس الا وصوت يقول ان صاحبكم لم يبتكر رائعة هذه ابتكارا ، وانما هو اخذها عن المسلمين وعندي اثبات ذلك .

وهوجم االكتاب هجوما عنيفا ، وانكر الدانتيون الامر انكارا شديدا وقالوا : كيف ؟ ومالدينا دليل واحد على ان دانتي عرف الادب العربي ولا اتصل به في اصل او ترجمة .

وما هو الا قليل حتى جاء الرد : بلى ياقوم، لقد عرفه ووصلت اليه قصة المعراج نفسها . وكان القائل هذه المرة علامة ايطالي ضليع هو انريكو تشيرولي فقد عثر هذا العالم على ترجمتين احداهما فرنسية قديمة والثانية لقصة المعراج ونشرهما معا في كتاب واحد اسمه Libro della Scola أي كتاب الصعود او العروج ، وفي هاتين الترجمتين نجد الصور الاسلامية التي اخذها دانتي في الكوميديا الالهية وقد نشر هذا الكتاب في مدينة الفاتيكان سنة ١٩٤٩ .

وقام باحث اسباني اخر هو ساندينو بنشر قطعة من الترجمة الفرنسية التي تمت على اساس الترجمة

ــ التتمة على ص ٤٠ ــ

الاتجاه التأملي الفكري في شعرنا الحديث

بقلم : يوسف زهدي يوسف / القدس

وجد الاتجاه التأملي الفكري منذ وجد الانسان واستمر منذ القديم حتى اليوم مع تغيير في المفهوم جرى خلال العصور ، وبذلك نظر المتأملون الى الدين لا على اساس مجادلة غير مجدية وانما على أساس الارتفاع بالانسانية وتوحيدها • ولذلك حملوا على رجال الدين واتهموهم بأسباب التفرقة والتنابذ •

وما ان ظهر كتاب داروين في الاصول حتى شارك العلماء العرب في الموجة الفكرية الحديثة وبذلك خرقوا التأمل الادبي الذي كان محصورا ضمن نطاق الايمان الموروث •

واذا كانت نزعة التأمل قد سادت في أدبنا الحديث فمما لاينكر ان تذهب بالبعض الى التفاؤل او اليأس والاستسلام الى التشاؤم وربما دفعت البعض الى الاعتماد كليا على العقل في النظر الى الحياة •

واذا ما حدث من جديد في الحياة الحديثة فقد سادت فيها نزعة الانسان الى الاهتمام بهذه الحياة وظهرت مسحة من الجمال على الوجود المادي وبذلك اصبح الوجود في الادب الحديث ليس مجرد عبث او شقاء وفساد بل أمرا جديا له معناه وقيمته التي ادركها بعض الادباء عن طريق الجهاد المستمر الذي قد يظهر في التمرد على القديم عند جبران ومدرسته ، والتمرد عند جبران هو الخروج عن الذات الى ما هو أعز واسمى ، ويرى جبران ايضا ان التجدد هو الحياة كما يتضح ذلك في «البنفسجة الطموح» •

وقد سادت فكرة تجديد الحياة في الاقطار العربية كلها فنادى بها من الحجاز احمد قنديل :

ان الحياة تدافع وتسارع
والموت في لونيه شيمته الركود

وأبو القاسم الشابي من تونس :

أبارك في الناس أهل الطموح
ومن يستلذ ركوب الخطر
والعن من لايماشي الزمان
ويقنع بالعيش عيش الحجر

واذا تعرضنا في هذا المجال الى فكرة الرضى فان نعيمة لا يراها بالجمود في الحياة وانما ان نرضى بالواقع على انه سلم لما هو افضل وهذا يقتضي نضالا ضد الصعاب فهو يقول :

يا اخي يا اخي المصاعب شتى
وبعيد مرادنا والموارد

وتسود أدبنا الحديث ايضا فكرة تطور الحياة الذي هو سبب جمالها وسعادتها وهذا ما عبر عنه ايليا أبو ماضي :

أيهذا الشاكي وما بك داء
كن جميلا ترى الوجود جميلا

واما الصوفية فهي نزعة جديدة في أدبنا الروحي الحديث الذي غدت فيه النفس اكثر تعرضا لسهام المشككين الذين ادت دعوتهم الى الجمود أحيانا وعدم المبالاة في الاحيان الاخرى بما وراء الدنيا وتفضيل الوجود وما فيه على الخلود الذي لانصيب فيه للشعور•

واذا كان الادب يتجه نحو الشك فذلك يعني أنه اناني يؤمن بالجمال الروحي •

وتبرز في أدبنا الحديث بشكل واضح فكرة الحقيقة التي هي الوجود المطلق (حقيقة الحقائق) ، وفكرة السعادة :

فأما فكرة الحقيقة فهي في أدبنا تكلم عنها المعري والمتنبي وغيرهم ، ولكنه قلما نجد في أدبنا القديم ما نجده في الحديث من نظر فكري متصل ناجم عن الانصراف الى التأمل في الحياة والانسان وهذا ما يظهر عند الزهاوي (حول الحقيقة) وعند الرصافي في قوله :

من أين ؟ من اين يا ابتدائي
ثم الى اين يا انتهائي

وأما فكرة السعادة فهي الغاية الضالة التي يسعى اليها الانسان جادا ولكنه لا يجدها ، ذلك لان السعادة الحقيقية ليست شيئا نلتمسه خارج نفوسنا «قصيدة

ـ التتمة على ص ٢٩ ـ

نير شوحيط

القراءة في عصر السرعة

ليس من اللائق ان نتغافل الان عن رؤية الواقع ونتغابى عن قيام حقائقه التي لا يحلو لنا ان نراها ، ذلك ان سوق الادب والفكر في هذه الايام في كساد ، وفي هذه المره كساد مر عنيف . وليس ذلك لامر في عالم الادب والفكر بل لامر طرأ خارج هذا العالم . لا لان الادب والفكر في هبوط بل لان امرا اخر في صعود .

وليس القصد الا في ذلك الجهاز السحري الذي كنا نسمية فيما قبل (التلفزة) وكنا ندرس ظاهرته كموضوع نظري ، اما اليوم فقد ولدت التلفزة جهاز التلفزيون واستحوذ هذا الجهاز على كل مشاعرنا وأفكارنا .

ولاأقصد هنا الا المدح لهذا الجهاز الذي قرب المباعد ووسع الافكار وأغزر المعلومات وجاء بالمعرفة حتى لمن لايحسن القراءة والكتابة واستوى في الانجذاب اليه العالم والجاهل على السواء . أليس مما يبارك عليه ؟

أجل ان من الواجب علينا ان نقر بفضل التلفزيون رغم أخطائه وموضوعاته الغثه في بعض الاحيان . ولكن ما يقلقنا هو ان ارباح التلفزيون - الارباح المعنوية - جاءت له عن طريق ليست بالمستقيمة وان كان طريقا قانونية . ان ارباح التلفزيون هي ارباح ابتزاز من حساب الادب والصحافة والاذاعة والمسرح وغير ذلك من ضروب الفن . لان ربحه خسارة لها ، ولذا فان مثل هذا الربح ليس بالحلال الا انه جاء بطريقة قانونية ومنطقية لايستطيع بها أولي الادب والفنون ان يطالبون بما ابتز منهم وما سرق بطريق الشرع والقانون .

هذا هو الذي يقلق المرء . وكيف لايقلقنا ان القارىء المتوسط قد كرس للتلفزيون جل وقته الذي كان يخصصه للمطالعة او كله في بعض الاحيان ؟

لقد هبطت أسهم المطالعة في الاسواق ، وقد اتضح هذا الهبوط لا بالمطالعة نفسها فحسب بل بتجارة الكتب حيث اصبحت مهنة الطبع والنشر من المهن المشكوك في نجاحها او على الاقل من المهن غير المرغوب فيها .

فقد لايكون يأس الادباء والمؤلفين كيأس اصحاب دور النشر ، ذلك لان حساب الادباء والمؤلفين هو حساب معنوي اكثر مما هو مادي ، أما حساب ناشري الكتب فهو مالي ليس الا .

وقد ازدادت هذه الصور عبوسا حين طالعتنا الاخبار بان سعر الورق قد ارتفع في هذه الايام بنسبة ٣٥ بالمائة ، واجور عمال المطابع ارتفعت مع ارتفاع الاجور وارتفاع الاسعار .

فمعنى ذلك ان اسعار الكتب في ارتفاع ، اما اقتناء الكتب ففي هبوط ، اي ان الهوة بين العرض والطلب قد عمقت واتسعت . واذا اردنا ان نتعرف على اسباب المرض نشير الى ذلك الجهاز السحري .. الى التلفزيون .

لااقصد في هذا العرض الاشارة الى الكساد المادي كما اريد الاشارة الى الكساد الادبي ، لان القراءة وهي من اسمى خصال الانسان في جميع العصور قد اضحت في خطر يهدد كيانها تهديدا كليا او جزئيا ، واني اعتقد باننا في هذا الصدد ازاء انقلاب ثقافي اجتماعي في نطاق تنظيم حياة الفرد وتخصيص ما يخصص منها للقراءة ذلك ان تأثير التلفزيون على حياتنا هو تأثير انقلابي اشبه بتأثير الانقلاب الاقتصادي الذي احدثته الالة في نطاق الصناعة - احدثت تقدما ، ولكنها أضرت بالاقتصاد الفردي لانها سببت استغناءا عن الايدي العاملة . كذلك أضفى التلفزيون على حياتنا فائدة وبهجة ، ولكنه أضر بالفرد في ارغامه - بمحض رغبته الفردية - على الاستغناء على الكثير من المطالعات . وهذه هي سنة من سنن الحياة : كل اختراع يلحق بجانب فوائده بعض اضرار على نهج الحياة التقليدية مما يسبب اخلالا في توازن الحياة يزول بمرور الوقت وبحكم العادة .

لقد كان اختراع السينما والمذياع لصالح القراء ، لان الانسان كان في حاجة للراحه المعنوية ، اذ لا يستطيع المطالعة طوال اوقات فراغة بدون انقطاع ، اي ان هذه الامور الفنية كانت وسيلة للترفيه ولبعث النشاط . اما بالتلفزيون فقد بلغ السيل الزبى واستحوذت الوسيلة

- التتمة على ص ٢٩ -

نقولا مسعد

متــاهات البعث والجديد

نحو انبعاث الضوء، سارت مهجة عيني
في وجوم ،
وعلى جناح فراشة حيرى
يشع شرق من جديد ،
والريح تموج بلا بشرى ،
تئن كلوحة فارس
تمثل بالبيارق قصة البعث
التي تنهار
والناسك من قبل الفي
قرن ما عاد يؤمن بالجليد ،
ومناجل البيغاوات
تلوح مع الايقاع الى ماض
دكـــين
القبة التي تاكلها متاهات الجنون
ستحترق

مع انبلاج الصبح ترصع
الفسيفساء بالياقوت
لاشيء مع الجديد سيستقر ..

* * *

ونور هذا العصر من صنع
مركبة الفضاء
وأنا متى الليل احتواني
عشت بلا أمل الحياة ،
الشبح المخيم فوق أعيننا مـن
لعاب النخل والمسك والقطران والتراب ،
كله جديد على هامة الالوان ،
والجرعة التي تصارع المناكد
في هوة الياسمين ،
تمازجت بصلوات الاوتار النحاسية
الوجه في شبه «ديكور»
الصوت ملتصق بوقع
اوراق السنديان ،
السمفونية لم تكتمل بعد

الوعود خانت عهد هارون الرشيد ..
الرشوة في دماء البرغش لن تموت
كذا تتارجح الساعات بالافواه ،
لنبتلعها في برهة الغيب
لفائـف التاريخ شهدت
لانية العقارات المكدسه
في اعماق السماء ،

الوجه في شبه «ديكور»
والريح تموج بلا بشرى
تئن كلوحات فارس
تمثل بالبيارق قصة البعث
التي تنهار ...

الأسطورة البابلية

بقلم : علي خليل حمد - نابلس

مقدمة :

اختلف الباحثون في تعريف الاسطورة فمنهم من بناه على أساس اجتماعي أو ادبي ومنهم من بناه على اساس الوظيفة التي تقوم بها وعلى هذا الاساس الاخير تعرف الاسطورة بانها :

«نتاج الخيال الانساني النابع من موقف محدد والهادف الى انجاز عمل ما» ويمكن أن نقسم الاسطورة وفقا للتعريف السالف - وهو تعريف «هوك» - الى أقسام خمسة هي :

أولا : أسطورة الشعائر : وهي ما كان يتلوه الكهنة في حال ادائهم للطقوس ويرونه ضروريا لتحقيق الاهداف التي ترمي اليها تلك الطقوس

ثانيا : أسطورة المنشأ : ويقصد منها الى تفسير عادة او اسم ما .

ثالثا : أسطورة العبادة : وتعطى قيمة أدبية دينية للحدث

رابعا : أسطورة التمجيد : وهي تسبغ هالة من العظمة والسرية على مولد بطل وماجريات حياته .

خامسا : الأسطورة المتعلقة بالحياة الاخرى : وتبرز تدخل الالهة في المستقبل في صياغة مصير الاشياء

على ان بعض الباحثين يقتصر في تقسيم الاسطورة على نوعين الخاصة بالالهة ، والخاصة بالابطال .

وعلاوة على ان للاسطورة سحرها وجمالها الذاتيين والنابعين من تجسيد طفولة الوعي البشري وسذاجته فانها شيء لاغنى عنه في تمثل حياة الشعوب القديمة ، انها دينها وعلمها وادبها وتاريخها بل هي حضارتها كلها ثم ان للاسطورة آثارا خفية وغير خفية ماتزال قائمة حتى ايامنا هذه ونذكر منها تقسيم السنة المالوف الى اثنى عشر شهرا يرتبط بعض اسمائها بالالهة ابو الابطال مثل تموز ، وكذلك اسماء ايام الاسبوع في اللغات الغربية وغير ذلك كثير .

وبمقارنة الاساطير لدى الشعوب المختلفة وجد الباحثون ان بينها طائفة كبيرة مشتركة وقد أرجعوا هذه الظاهرة الى سببين رئيسيين :

اولهما : ان الظروف الانسانية المتشابهة تستدعي اجابات متشابهة .

وثانيهما : ان الاتصال بين الشعوب المختلفة بوسائل التجارة والحروب وغيرها ادى الى انتشار الاسطورة الواحدة من بلد الى اخر وان قارن ذلك اختلاف يسير لايمس جوهر الاشياء.

وننتقل الان الى الحديث عن الاسطورة في بابل ، المدينة التي اقترنت في أذهان العرب قديما وحديثا بالسحر والغموض وهذا القرآن الكريم يتحدث عن الملكين هاروت وماروت المقيمين في بابل واللذين يعلمان الناس الفتنة والسحر [سورة البقرة ، آية ١٠٢]. بل ان بابل استحالت في الشعر العربي الى رمز يقترن بالخمر وسورتها ، قال ابو العلاء :

البابلية باب كل بلية
فتوقين دخول ذاك الباب
جرت ملاحاة النديم وهجره
واذى الصديق وفرقة الاحباب

وحديثا يقول علي محمود طه :

اتلك بيروت أم من بابل صور
معلقات لها بالسحر ايحاء

واذا كانت الحضارة البابلية السومرية وخلفتها في المكان والزمان وغيرهما فاخذت منها واضافت اليها واذا كانت الحضارة الاشورية قد تلت الحضارة البابلية وانتفعت بها كل الانتفاع فان الذي حدث للحضارة حدث للاسطورة ايضا ، ونود ان نورد مثالا بهذا السبيل فنقول ان ملحمة جلجميش التي عثر عليها في الواح في مكتبة آشور بانيبال - وهي بابلية - لها اصولها عند السومريين وسنرى ذلك واضحا حال عرضنا لهذه الاسطورة .

وللاسطورة البابلية ميزتان جليتان :

الاولى : انها في اكثرها صراع بين آلالهه وبين الابطال البشريين ٠

والثانية : ان روح اليأس والتشاؤم تغلب عليها وما أجدرها بان تسمى اساطير الامل الضائع ٠

اسطورة الخلق

في البدء لم يكن من شيء سوى «ابسو» أو محيط الماء العذب ومعه «تيامات» محيط الماء الملح ٠ ومن اتحاد هذين تكونت الالهة ٠ وقد ولدت هذه الالهة آلهة أخرى، وتستمر الولادة حتى تصل الى «أنو» ـ اله السماء ـ و«ايا» اله الارض والماء والحكمة ٠

ثم تنوي الالهة القديمة الايقاع بابنائها من آلهـــة الجديدين فقد أثار الصخب الذي يقوم به هؤلاء غضب «ابسو» و «تيامات» ويأتمر «ابسو» مع وزيره «مومو» بهم ليقضوا عليهم ٠

ويشعر الالهة الصغار بما يبيت لهم ، فيفزعون لذلك أشد الفزع ، وسرعان ما يدبر «أيا» خطة مقابلة فقد القى سنة من سحره على «ابسو» حتى اغفى ، وعندئذ يذبحه ثم يوثق «مومو» ويخزمه بحبل في انفه ٠ حتى اذا فرغ من شأنها خلا لنفسه فابتنى حجرة مقدسة دعاها «ابسو» ايضا وفي هذه الحجرة ذاتها يولد «مردوك» اله بابل الخاص الذي تشيد الاسطورة بجماله وبشجاعته النادرة ٠

ولكن الامور لم تنته ، فما عتم أبناء الالاهه «تيامات» ان طفقوا يكيلون لها اللوم والتقريع على سكوتها عـــن مصرع «ابسو» ولقد نجحوا في اثارة حفيظتها ورغبتها في الانتقام فها هي تعين ابنها البكر «كنغو» قائدا لكائنات مفزعه وتزوده بالسلاح الفتاك وبالواح القضاء والقــدر متجها الى قتال الالهة الصغار ٠

ويضطرب أمر هؤلاء بادىء ذي بدء على انهم يكلون أخيرا الى «مردوك» الشجاع مهمة دحر الاعداء وقهرهم ، ويرضى «مردوك» بذلك على ان تكون له الكلمة العليا في مجالس الالهة ٠

ويحتفل الالهة الصغار بهذه المناسبة وكمنح «مردوك» ما اشترط لنفسه ، وتسلم اليه شارات الرياسة، ويطلب منه الالهة علامة على انه كفء لما وكل اليه من أمر فما كان منه الا ان أخفى جلبابه عن اعينهم حتى ما يراه أحد ثم أعاده الى الظهور كرة أخرى ، فيستشعر الالهـــة الرضى عندئذ ويصيحون ملك «هومردوك !» ٠

واعد «مردوك» عدته للمعركة ومنها البرق والقوس والسهام ومنها شبكته التي تشدها من أطرافها الرياح الاربع ، ثم ملا صدره لهبا ، وامتطى عربته العاصفـة واندفع صوب «تيامات» وحشودها ٠

حتى اذا التقى بها تحداها الى خوض مبارزة منفردة ، ثم القى عليها شبكته ليأسرها ، واستعان بالريـــح الشريرة في توريم بطنها وجلب الاضطراب اليها ، وما عتم ان اصمى قلبها بسم من قوسه المكينه فصرعها ٠ ولما راى العفاريت الذين في صحبتها ذلك حاولوا الفـــرار ولكن احالهم ذلك فسرعان ما حاقت بهم شبكة «مرودك» فاوثقتهم جميعا ومعهم قائدهم «كنغو» ٠

ويأخذ «مردوك» ألواح القضاء والقدر من القائـــد الاسير ويثبتها الى صدره ، ويصبح بذلك صاحـــب الكلمة العليا التي لا ترد بين الالهة ، وكان بعد فراغه من هذه المغامرة ان شق «مردوك» جسد «تيامات» نصفين ، ورفع أحدهما عاليا عن الارض ليكون قبة السماء التي ثبتها بالاعمدة ، وعين حراسا وكل اليهم مراقبة المياه خشية افلاتها ٠

ويأتي الان دور تنظيم شؤون العالم ، فكان اول ما عمل «مردوك» ان وضع التقويم السنوي المبني عـــلى الاشهر القمرية ، ثم انه عين لكل اله منطقة خاصة في السماء ، فقد جعل «لانليل» جزءها الشمالى ، وجعـــل «لايا» جزءها الجنوبي ، اما «أنو» فمركزه سمت السماء كما ان «جوبيتر» أصبح مسؤولا عاما عن تنظيم شؤون السماء ٠

وفي النهاية يقرر «مردوك» ان يخلق الانسان وذلك لتحرير الالهة من مشاغلهم وليكون عمله جلب الطعام اليهم وما الى ذلك من الاعمال الخسيسة وبالفعل فقـد تم خلق الانسان من دم «كنغو» الاله القتيل ٠

ثم تشيد الالهة هيكلا لمردوك بزكورته الهرميه وتتلى ثمت اسماؤه الحسنى الخمسون وبذلك تنتهـــى الاسطورة ٠

عشتار وتموز

كانت الالاهة «عشتار» ، متقلبة في حبها ، ماكرة في افعالها ، ومع ذلك فقد كانت الاهة الامومة التي تعطف على أبنائها في الارض وتواسيهم ما استطاعت ٠

وكانت تقام احتفاء بها طقوس تسودها العربـــدة

والمجون ، ومع هذا كله فهي الاهة الحرب التي تقشعر من هولها نفوس الالهة .

ويروى انها التي قتلت «تموز» بعد عشق وغرام ، ويروى ايضا ان خنزيرا بريا هو الذي قتله . كما يروى انها هبطت في رحلة الى العالم السفلي لانقاذه بعد أسف شديد لموته .

وصلت عشتار الى بوابة العالم السفلي فقرعتها قرعا شديدا ، وانبرت تهدد حارس البوابة بانها ستقتلعها اقتلاعا ان لم يخل سبيلها الى «الاتو» سيدة العالم السفلي ، وقد انصاع لامرها الحارس ، واذن لها بذلك على شروط لابد منها .

سينزع تاجها عن رأسها عند اول باب ، تلك مشيئة «الاتو» ، بل سينزع كل ما عليها شيئا فشيئا عند كل باب ، فنزعت أقراطها ثم حليها ، ثم وشاحها المرصع بالجواهر ، وما ان دخلت من الباب السابع والاخير حتى كانت عارية تماما .

حتى اذا اذن لها بالمثول بين يدي «ألاتو» اندفعت عشتار اليها غاضبة ثائرة ولكن «ألاتو» القوية تغلبها على أمرها وتلعن أعضاءها جميعا ، وقد انتوت ان تبقيها أسيرة حتى آخر الابد في مملكتها .

وتضطرب الاحوال في الارض ويكاد يهلك الحرث والنسل حتى ما يقدر الثور ان يسافد البقرة ولا الحمار ان ينزو على الاتان ، ويرق «أيا» اله الارض الرحيم لدعاء الناس فيبعث خصيا من عنده الى «ألاتو» فما زال هذا الخصي يداريها ويلاطفها حتى سكن غضبها، وغفرت لعشتار زلتها بل انها أمرت ان يسكب عليها ماء الحياة حتى اذا ثابت اليها روحها أعادتها الى الارض وقد عادت اليها ثيابها وحليها شيئا فشيئا عند كل باب .

ولا ريب ان الخصب يعود الى الارض حين تبزغ فيها الاهة الامومة من جديد على ان الاسطورة لاتبوح بشيء في شأن تموز وان كانت موجة الفرح التي تغمر آخر القصيدة توحي بأن تموز ايضا قد عاد .

ادابا والريح الجنوبية

قبل ان نروي هذه الاسطورة نود ان نذكر ان بعض الباحثين يرى تناظرا ما بينها وبين ما عند العبريين ، فما «أدابا» هذا الا «آدم» وما رداء «أدبا» الا رداء آدم في الجنة ايضا .

وكان «أدابا» هذا ابنا للاله «أيا» ، وهو انسان على كل حال ، فما كان له أن يصبح من الخالدين وان رزق حظا من حكمة الالهة ، وكان قيما لبيت والده كما كان يصطاد له حاجته من الحيوان والاسماك .

وذات يوم هبت الريح الجنوبية على مركب «أدابا» فانقلب به ، وكاد يغرق حتى اذا ملك نفسه بعد حين آلى ان يكسر جناح الريح الجنوبية وكذلك فعل .

وظلت الريح الجنوبية مكسورة الجناح أياما سبعة حتى علم بذلك «أنو» اله السماء فضاق بما حدث وأرسل من عنده رسولا يأتي «بأدابا» الى حضرته العلية .

وكان «أيا» يعرف أخلاق الالهة وتصرفاتهم معرفة صادقة ، فدعا ابنه اليه ، واوصاه ان يلبس ثياب الحداد وان يظهر الحزن ويبالغ فيه حتى اذا مثل بين يدي حاجبي «أنو» وهما «تموز» ورفيق له وسألاه في أمر حداده وحزنه قال ان فؤاده يتقطع حزنا وأسفا لفراق الهين حلا في الارض ثم ارتحلا — وهكذا كان دأب تموز وصاحبه اذ انهما يموتان ويعيشان كل عام مرة — فاذا سألا بعدئذ عن اسمي هذين الالهين ذكر «تموز» وذكر اسم صاحبه ، ولاريب ان سيتملقهما بذلك فيرضيان عنه ويستعطفان له الاله «أنو» . فاذا مثل بين يدي «أنو» فسيعرض عليه «خبز الموت» و «ماء الموت» وعليه ان يأباهما كما سيقدم له رداء وزيت ولا باس عليه ان لبس الرداء او ان دهن جسمه بذلك الزيت .

وصار كل شيء كما توقع «أيا» فقد رضي «تموز» وصاحبه عن «أدابا» واستعطفا «أنو» من اجله ، ولكن الالهة يقدمون له «خبز الحياة» «وماء الحياة» فيأباهما اما الرداء فقد لبسه واما الزيت فقد دهن جسمه به .

ويعجب «أنو» أشد العجب ويسأله لم لم يتناول شيئا من خبز الحياة ومائها ويجيب «أدابا» بان عمل بما اوصاه ابوه .

وهيهات ! لقد ضاعت الفرصة الذهبية ، ولن يعاد تقديم خبز الحياة ومائها الى أدابا واذا فسوف لايكون من الخالدين .

على ان انو يرق لحال ادابا ويرجعه الى بلده وقد منحه بعض الهبات اليسيرة .

ايتانا والنسر

كان في «قيش» ملك يدعى «ايتانا» ، وهو أول ملك تعينه الالهة بعد الفيضان العظيم . ولسوء الحظ كانت زوجته لاتضع مواليدها الا أمواتا ، فضاق وضاقت

زوجته بالامر ذرعا وأخذا يتوسلان الى الاله «انو» والاله «شمس» ضارعين · ويريد الالهه من جانبهم ان يكون «لايتانا» ابناء يخلفونه في الملك ولكنهم يتخذون من الامر ذريعة وسببا لاختبار شجاعة «ايتانا» وصبره على احتمال المشاق ·

وقال الاله «شمس» «لايتانا» انه سيعينه على ان يصل شجرة الحياة، ولكن على «ايتانا» ان يستعين بالنسر في طيرانه اليها ، والنسر جاثم من وراء الجبل في هوة سحيقة كسير الجناح ·

ولهذا النسر قصة طريفة ، فقد تعاهد مع أفعى من بداية الخليقة على الصداقة وعلى الوفاء ، وبنى النسر وكره في اغصان شجرة ما ، كما وضعت الافعى صغارها بقرب ساق هذه الشجرة ، على ان النسر يضمر الشر في نفسه فما ان تغيب الافعى لبعض شأنها حتى ينقض على صغارها ويمعن في هؤلاء الصغار تقتيلا حتى اذا عادت الافعى ورأت ما حدث من فجيعتها بابنائها بكت وشكت وتوسلت الى «شمش» ان يعينها على النسر · وقد كان لها ما طلبت من العون فاسرت النسر وهاضت جناحه ثم القت به بعد ذلك في هوة سحيقة جزاء وفاقا على ما نكث من عهد ·

فاما «ايتانا» فانه يعبر الجبل ، ويصل الى حيث النسر الجريح ، فما يزال يرعاه ويمرضه حتى أبل وعوفي ، وقدر النسر «لايتانا» هذا الصنيع فاحتمله وطار به صعدا الى شجرة الحياة ·

ونظر رعاة وكلاب كانوا بمقربة الى «ايتانا» والنسر وهما يشتدان في العلو ، فامتلات نفوسهم بالدهشة والعجب ، أما هما فقد انطلقا الى العلاء لايلويان على شيء وأخذت الارض تصغر وتصغر من تحتهما كما أخذ محيط الماء يصغر ويصغر ايضا حتى لاح وكأنما هو قناة مما يعمل الزراع في الحدائق ·

ولا يدري أحد على اي وجه تنتهي القصة بهذين المغامرين فربما وصلا الى باب «أنو» فدخلا وعبداه وربما سقطا الى الارض ومزقا كل ممزق ·

على ان زوجة «ايتانا» لا تلبث ان تترقب حادثا سعيدا هذه المرة فقد رضي الالهه عن شجاعة زوجها ولا يطول بها الترقب حتى تضع مولودا ذكرا حيا يخلف أباه على عرشه ·

ملحمة جلجميش

وجلجميش هذا رجل تاريخي من ملوك مدينة «ارخ» الواقعة في جنوبي مملكة بابل ، ويرى بعضهم ان نمرود التوراه – ونمرود تعني نمر عدد اي ضوء اله الصواعق – وقد وجدت هذه الملحمة منقوشة في اثنى عشر لوحا في مكتبة آشور بانيبال في اطلال مدينة نينوى ، وقصة جلجا مش تتمتع بحظ من الشاعرية والانسانية عظيم ·

وتقول القصة انه كان في ثلثيه الها وفي ثلثه انسانا ، ولم يكن له كفء بين البشر ، وكان يحرص الحرص كله على منعة مدينته فقسر أهلها على ان يكدحوا في تحصينها عامة ليلهم ونهارهم حتى استصرخوا الالاهة الخزافة «أورورو» راجين ان تخلق كفئا لجلجميش عسى ان يحد من غلوائه ·

واستجابت هذه الالهة لهم فخلقت من الطين رجلا بريا اسمه «انكيدو» ذا شعر مجعد كثيف ، مفزع المنظر متوحشا ، يقتات الاعشاب مع غزلان البرية ويرد الغدران بصحبة الوحوش الضارية ·

والتقى احد الصيادين من مملكة بابل «بانكيدو» فارتد الصياد فزعا مذعورا منه ومضت الوحوش التي كانت بصحبة «انكيدو» الى حال سبيلها ولم ينتفع منها ذلك الصياد بشيء بل رجع الى ابيه خاوي الوفاض فأشار عليه هذا بالذهاب الى جلجميش وحكاية حاله له·

اما جلجميش فقد اشار عليه بالذهاب الى احدى البغايا من كاهنات الهيكل ، فيصطحبها الى مورد الماء حتى اذا قدم «انكيدو» ليرد مع الوحوش ألقت عنها رداءها وأسرته في شرك فتنتها فاتخذ سبيله اليها مبتعدا عما معه من الوحوش ، وعندئذ يفرغ الصياد لشأنه ·

وكان ان استطاعت تلك البغي الكاهنه ان تملك على «انكيدو» لبه ، بل انها ما زالت تستدرجه يوما عن يوم حتى أنس الى الرعاة وأخذ يأكل خبزا مما يأكلون ويشرب خمرا مما يشربون ثم اتصلت بينه وبينهم المودة وتوثقت حتى أنسي قديم صحبته مع الوحوش فأخذ يطرد الاسود كلما حاولت ان تقترب من قطعان الرعاة ·

وأخيرا حدثته الكاهنة في فضائل جلجميش ومزاياه وانه الوحيد الذي يصلح ان يكون له ندا ·

وبعد حين التقى انكيدو بجلجميش في المدينة ، فاصطدما ، واشتبكا في صراع عنيف حتى ان الارض زلزلت بهما زلزالا شديدا ، وانتصر جلجميش في خاتمة الامر ، على انه لم يبطش «بانكيدو» ولم يسيء اليه وانما

اصطنعه لنفسه صديقا ورفيقا ، ولقد آليا على نفسيهما ان تظل عرى الصداقة بينهما قائمة موصولة الى آخر الزمان .

وكان في غابات الارز من لبنان وحش مرعب اسمه «همبابا» او «هواوا» ويشاء جلجميش ان يطهر الارض من رجسه فيذهب اليه مع خدنه «انكيدو» وبعد لاي شديد يقضيان عليه . والفضل كل الفضل راجع في ذلك لثبات جلجميش وعزيمته التي لا تعرف الكلال .

ورأت الالاهة الجميلة عشتار وهي الاهة بلد الارز ماحدث واعجبت الاعجاب كله ببطولة جلجميش وشجاعته ولقد راودته عن نفسه . فأبى أشد الاباء وذكرها بالذي فعلته لعشاقها من قبل ، الم تذق «تموز» الويلات ؟ أفلم تسحر عاشقا آخر كان له قطيع من الماشية ذئبا مما حدا برعاته وكلابه ان يتنكروا له فيطاردوه ؟ وكم فعلت من ألوان الاذى وضروب الغدر .

واستشاطت الالالهة الجميلة غضبا وتضرعت الى الالهه «أنو» فاستجاب لها وأرسل ثورا من السماء عاث في مملكة جلجميش حتى انه اودى بحياة خمسمئة من محاربيه الشجعان قبل ان يقضي عليه مستعينا عليه بصديقة الحميم .

وعاد جلجميش الى قصره منتصرا،وقد تعالت الهتافات بمجده وبطولته ، على ان هذه الفرحة لم تدم طويلا فهذا رفيقة «انكيدو» يسلم نفسه الى سبات عميق ويرى فيما يراه النائم ان ينتقل الى العالم السفلي ، لقد قتلته الالهة انتقاما لثورها السماوي واحالته الى شبح من الاشباح .

وجمع جلجميش الملا من قومه واستعبر قائلا «هأنذا أندب كامرأة ثكلى مصرع صديقي الحميم انكيدو . مالي وللسيف والصولجان وزينة الاعياد بعد اليوم؟» وبعد ان اتجه الى جسد رفيقة أخذ يكلمه بذكريات الماضي التي عاشاها معا ، ولكن أني لانكيدو الاجابه وقد كف قلبه عن الخفقان وعندئذ زار جلجميش غاضبا كالليث واخذ يشد الشعر من راسه ويصيح ، وحدت المدينة كلها على «انكيدو» ستة ايام .

ولما سكت الغضب عن جلجميش أتخذ طريقه في الفلوات وقد انتوى ان يكلم «اتنا بشتيم» – وهو نوح التوراه – في شأنه ، ومازال يسير ويسير حتى بلغ الجبل القائم على طرف الارض حيث يقف الرجل – العقرب وزوجته يرقبان مطلع الشمس ومغربها ، ولقد حاول هذا الرجل ان يصرفه عن مسعاه ولكنه أجاب قائلا : لاذهبن الى جدي «اتنا بشتيم» الذي يشرك الالهة في خلودها ولاسالنه عن أسرار الموت والحياة .

وتابع جلجميش سيره في الطريق التي لم يسلكها من قبله أحد الى جده ، وعبر نفقا عميقا حالكا في جبل كان من دونه ، ولولا انه جلجميش لتخاذل ولرجع من أول النفق ولكنه واصل سيره واجتاز النفق ثم وصل الى حديقة الالهة التي تجاور بحر الموت .

وكان (سدوري) ساقي الالهة واقفا بين الاشجار فرأى جلجميش ففزع اشد الفزع ، واوصد الباب من دونه ثم أخذ يحاوره من فرجة بالباب ويعظه قائلا :

«أما انه لخير لك ان تاكل وتشرب وتستمتع بزوجك وولدك ما استطعت . فلقد جعل الالهة نصيب الانسان الفناء واحتفظوا لانفسهم بالخلود» .

ولم يعره جلجميش أذنا واعية بل قال :

«دلني على طريق «اتنا بشتيم» فلاخوضن البحر اليه ان كلف الامر ذلك»

وانطلق جلجميش في البحر برفقة نوتي يدعى «أورشنبي» – وكان اسم هذا البحر مياه الموت – حتى اذا جازه وجد «اتنا بشتيم» يحدق في وجهه الذي كانت ملامح الاسى والالم العميقين واضحة فيه كل الوضوح .

وادرك جلجميش ما يدور في خلد «اتنا بشتيم» فقال له وكانه يجيبه عن تساؤله :

«كيف لايذهب الاسى بنضرة خدي وكيف لايفعم الحزن قلبي بعد أن مات صديقي الحميم الذي احتمل معي كافة الصعاب وبعد ان اصبح ترابا ؟ الست مثله سأسقط ميتا ذات يوم فما أقوم بعدها أبدا ؟» . ثم أخذ يذكر «لاتنا بشتيم» ما قاساه من متاعب في سبيله اليه وطلب اليه حظا من حكمته .

وماذا يصنع «اتنا بشتيم» والموتسنة الحياة والتغيير نصيب كل شيء وغلى صدر جلجميش بالغضب وقال :

«ابة عدالة في هذا العالم» ولماذا قضي علي بان آكافح وأموت بينما تستمتع انت يا «اتنا بشتيم» بحياة خالدة سعيدة لاهم فيها .

ولعل «اتنا بشتيم» أراد أنا يهدى من روع صاحبه ولعله أراد ان يشير الى ان لابد له في الامر وان لاعلم له بحقائق تصرفات الالهه ولماذا يشاءون ما يشاءون فاخذ يسرد على سمع صاحبه حديث الطوفان العظيم قائلا :

«في عصور سحيقة القدم ـ شاء الالهة الذين يحكمون الفرات ان يرسلوا فيضانا هائلا يطهر الارض من رجس البشر وادناسهم بأن يغرقوهم • وبلغ الاله «أيا» «أتنابشتيم» بما يدبره الالهه ، فطفق هو وخدمه وأسرته يشيدون فلكا هائلة الحجم عسى ان تنفعهم يوم يحل على الناس الغضب الالهي ، وحين ساله الناس ماهو صانع قال :

«لقد حل علي غضب الاله «انليل» وسارحل الى مملكة «أيا» المائية واني لجاعله الهي بعد هذا اليوم» •

ثم شحن سفينته بكل ما يلزم من طعام وشراب واغنام وغير ذلك • ووضع فيها اهله وخدم واعد كل

القراءة في عصر السرعة ـ تتمة

على جميع الوقت حتى سيطرت على الغاية واصبحت هي غاية اولية وغدت القراءة امرا ثانويا •

اما الان فينبغي علينا ان نتقبل مشيئة العصر لئلا نبقى في اخر الركب ، وما علينا الا التأقلم للجديد والتكيف للواقع الذي يخلفه ، ومعنى ذلك اننا في فاتحة عصر اضحت مغرياته اكثر تأثيرا على الفرد القابع في صومعة افكاره مما سبب التغيير في طبيعة نظام حياته بما في ذلك المطالعة •

واذا كان كذلك ـ اي ان الوقت المخصص للقراءة أصبح اقل مما كان ـ فينبغي اذن ايجاد الحيلة للتغلب على هذه الخسارة الروحية في قلة المطالعة بطرق شتى يستحدثها الفرد تبعا لرغبته لمضاعفة النشاط اوالاسراع في القراءة او أفضل من هذا وذاك في انتقاء مادة القراءة وتفضيل سمينها على غثها •

وخلاصة الامر : اذا كانت هذه الخواطر تبعث بعض التشاؤم فان الجانب الايجابي فيها ان يكون الفرد في هذا العصر انشط في تنظيم حياته واستغلال طاقاته الحيوية وانتقاء المطالعات الجيدة لكي يتغلب على النقص الذي طرأ في ساعات قراءته ودروسه• ومن ناحية اخرى ان يشمر الصحفيون والادباء عن سواعدهم ، لكي يفضلوا الكيف على الكم في انتاجهم وينتجوا ما قل ودل ويعلنوا لانفسهم حالة طوارىء روحية لانهم الان في حرب مع مغريات ثقافية شديدة الباس كمغريات التلفزيون التي يجب عليهم التناحر الكيفي معهالكي لاتطغى فائدتها المزخرفة على فائدتهم الضرورية • فيكسبون عندئذ البقاء المتجدد والمتكامل كما كسبوه في نضالهم مع الحاكي والسينما والمذياع •

شيء حتى اذا جاءت العاصفة عنيفة فزع لها كل شيء حتى الالهة انفسهم وارتدوا الى احضان «أنو» في السماء وجلين ، وبعد ستة ايام بلياليها من الدمار الشامل أقلعت العاصفة وكفت سيول المطر عن التدفق وقضي الامر •

وفي اليوم السابع فتح «اتنابشتيم» نافذة من مركبه ويكى حين تسرب شعاع من الشمس الى داخلها • وكانت المركب انذاك راسية على قمة جبل • واطلق أتنابشتيم حمامة مما معه، ثم أطلق سنونوة الا انهما عادتا اليه. وبعد حين أطلق غرابا فذهب ولم يرجع وعندئذ علم من بالمركب ان المياه آخذة في الانحسار ، فأخرج «اتنا بشتيم» واهله ما معهم من الماشية ، وخرجوا من المركب فرحين مستبشرين ، وقدموا القرابين للالهه •

وغضب «انليل» أول الامر لان العاصفة التي ارسلها لم تات على جميع البشر الا ان الالهة الاخرين لاطفوه وما زالوا به يراضونه حتى قرت نفسه ، ورضي عن «اتنا بشتيم» وزوجته وباركهما بل انه شاء ان يحيلهما الهة او كالالهة ومنحهما الاقامة الدائمة في فردوس بعيد يقع بالقرب من حيث تصب الانهار •

ولما انهى «اتنا بشتيم» حديثه اراد جلجميش الانصراف الا ان زوجة «اتنا بشتيم» حنت على هذا المغامر الشجاع فطلبت من زوجها ان يعطف عليه وان يدفع اليه هدية تنفعه •

وقال له «اتنا بشتيم» :

«ان في قعر محيط العالم السفلي وردة شائكة ،

الاتجـاه التأملي ـ تتمـة

العنتاء» لابي ماضي ، وانما هي اختبار في النفس يرى البعض ان الحصول عليها يكون عن طريق الصبر على المكروه وتزكية النفس بالعلم وتكميلها بالفضائل ، وعن طريق القناعة ايضا ، ونتيجة هذا كله فان فكرة جديدة ظهرت في أدبنا الحديث وهي ان السعادة لاتتوقف على بلوغ الهدف بل على الشعور بالنمو المطرد نحوه •

ولم يقف التأمل عند الموضوعات المعنوية فقط بل تعداها الى الريف والطبيعة ، واذا كان الادب القديم اتجه الى الطبيعة الا انه لم يتناول منها الا الاوصاف الحسية بينما نرى الادب الحديث يتجاوز تلك المشاهد الى ما للطبيعة من وجود معنوي يعود الى اعتبار الطبيعة حية ذات روح •

فاذا بلغتها فاقطفها ولا تتردد فانها شجرة الحياة» ·

وربط جلجميش الحجارة الى قدميه ورسب الى قاع المحيط ، حتى اذا قطف الوردة الشائكة ، فصل الحجارة عن قدمية وطفا حيث كان من البحر وصعد في المركب كرة أخرى راجعا الى وطنه وقد غمره طوفان من الفرح بالوردة التي تعيد للمرء نضارة الحياة ·

ومر على بركة في سبيله فسولت له نفسه ان يستحم في مائها ، فنزل فيها ، وترك الوردة وحيدة على حافتها ·

وكان أفعوان بمقربة من البركة ، فاشتم رائحة الوردة فانسل اليها واحتملها وذهب · وبفضل هذه الوردة – وحتى يومنا هذا – يستطيع الثعبان ان ينزع عنه جلده أحيانا ويجدد شبابه في حين ان الانسان لا يقدر على ذلك بل يهوي في دركات الهرم الى اسفل سافلين ·

واخيرا عاد جلجميش الى بلدته ولكن ·· لقد أضاع شجرة الحياة وبئس اليأس كله من ان ينفع صديقه الراحل بشيء ·

ويتضاعف حزنه وكربته ثم يتضرع الى الاله انليل والى الاله «سين» – اله القمر – والى الاله «ايا» وتتساقط الدموع على وجنتيه ·

ويرق اله الرحمة «ايا» لحزن جلجميش ويصنع ثقبا عميقا في باطن الارض لا تلبث روح «انكيدو» ان تندفع منه صعدا كالاعصار ·

ويتعانق «انكيدو» وجلجميش ولكن واأسفاه! أي عزاء يمكن لاحدهما ان يقدمه للاخر · لقد اضاع أحدهما شجرة الحياة كما ان الثاني لا يريد ان يتحدث بشيء مما راه في رحلته كيلا يثقل صدر صاحبه بالهم والاسى

وليس فيما بقي من الاسطورة المكتوبه شيء تمكن قراءته ، ولعلها تتحدث عن مثوبة من العطف يجدها الانسان الصالح في عالم الموت وعن مثوبه من الازدراء هي نصيب الانسان الشرير !

معسكرات اللـذة – تتمة

دون اللجوء الى سائل اصفر يروي ظمأ العذارى المستلقيات على ظهورهن فوق الرمال المبتلة بالرذيله وبسبب ذلك كانت حياتي في المعسكر مثقله الانفاس برائحة كريهه انبعثت من خيمة قائمة قرب تله عاريه كنا ننشب اظافرنا بترابها كلما دفعتنا الى ذلك السأم او الخوف ·· ورغم الحياه المثقله بالذنوب والخطايا تمطيت في خيمتي المنفرده وسحبت في وهم مغرق بالصور الباهتة لمستقبل تمتزج فيه انفاس العشاق والمحبين حتى الخلود ولكني احسست بنقص ليس له نهاية وانا المس جسدا غضا ··

كان جسمي لايزال يرتعش من هول الصدمه التي سببتها لي فتاة رعناء ولكنها مثيرة ولذيذة وهذا ما جعلني اغتصبها رغما عنها وشعرت بالضياع الذي نحن فيه ومدى تفاهة هذا العالم السافل ··

– ٤ –

سحب الشيخ وجهه من على الارض وركز عينيه بصورة مباشرة نحو شخصين نائمين في ظل احدى الخيام واغنية جنس ترددها شفتاه وقد شعر بلذة طاغية سكبت في قلبه وعينيه فانتزع نفسه من بين حطام الذعر والخوف والتصق بجسدي الشخصين النائمين ··

هذا الشيخ اسطورة مخيفة يلوكها افراد المعسكر كل يوم ويفترشونها بشيء من التردد والحماس في الوقت نفسه فقد جاء الى المعسكر يوما رجل يبدو عليه الاعياء والمرض وبصحبته فتاة عذراء فمنحهما القائد خيمه منفرده كانا يقتلان فيها الملل والضجر على ان امرا واحد اثار في افراد المعسكر نوعا من حب الاستطلاع وشهية لزجة لجسد فاتر بعدثورةالجنس التي اجتاحت عقول الرجال واقفلت صدورهم بكلمات رنانة تلقفتها اذانهم من ثغر الفتاة الغريبة وهذا الامر هو القائد الذي استحمت افكاره تحت ضوء القمر في ليال كثيرة كان الرجال يتجسسون فيها على قائدهم المبجل وهو يختال في عرين الفتاة ··

ومرت سنة ووضعت الفتاة – المراة – شيخا ! انه امر عجيب ولكنه حدث ذات يوم ومازال الشيخ يزحف على ارض الخيام ويلتقط انفاسه بصعوبة وهو يترنح على حافة الهاوية التي سقطت فيها أمه ··

أبو القاسم الشابي
حياته وشعره
بقلم : انور هلال / نابلس

«لا .. والف لا .. ان الشابي لم يمت يوم ٩ اكتوبر ١٩٣٤ وانما ولد من جديد .. ولدت حياته الباقية وولد خلوده العظيم ..»

«ان تونس الخضراء لم تعرف في تاريخها الادبي شاعرا يقف بحق بين الشعراء الكبار ويحتل مكانة سامية في عالم الخلود بعد شاعرنا ابن هانيء الاالشابي، ذلك الشاب الجسور الذي تحدى كل الاوضاع الفاسده والجبروت والطغيان وهو لما يبلغ العشرين من عمره .»

هكذا قال عنه أبو القاسم محمد كرو في كتابه «كفاح الشابي» . وان الشابي هو بحق ، الشاعر الفذ ، والانسان الثائر الذي سطر في صفحات الادب والثورة أروع الشعر واروع الكلمات .

حياته :

قام الكثيرون ممن ذهلتهم هذه الشاعرية الهائلة بالبحث والاستقصاء في حياة وأدب الشاعر الكبير .. ولكن يبدو انهم اختلفوا في نقاط عديدة .

فابو القاسم محمد كرو يرى ان الشاعر ولد في ربيع ١٩٠٩ في حين نجد الدكتور فروخ صاحب كتاب «شاعران معاصران» يحدد يوم ولادة الشابي بـ ٢٤ شباط ١٩٠٩ ، وهناك من يرى ان الشابي ولد في شهر آذار من ذلك العام .

وقد ولد الشابي ببلدة الشابية من ضواحي مدينة توزر ويجمع الباحثون على أن تلك البقعة من تونس التي ولد فيها كانت محفوفة بجمال الطبيعة حيث الحدائق الغناء واشجار البرتقال والليمون والينابيع العذبة والاطيار الزاهية . وتلك الفترة من حياة الشابي كانت مظللة بالاستعمار الفرنسي البغيض ، فكان لكل ذلك الاثر الكبير في شعره ونفسيته وثورته الطاغية .

دخل الكتاب في الخامسة من عمره واستطاع ان يحفظ القرآن غيبا في التاسعة من عمره .

ولا غرو فقد كانت اسرته جد محافظة . وقد طالع الكتب الدينية والصوفية والفلسفية القديمة وفي اواخر عام ١٩٢٠ الحقه والده بالكلية الزيتونية في تونس حيث نال شهادة التطويع وتخرج بتلك الشهادة . ويرى أبو القاسم محمد كرو انه تخرج بها عام ١٩٢٨ وذلك في كتابه «الشابي ، حياته وشعره» في حين يرى عمر فروخ انه تخرج عام ١٩٢٧ . ثم يذكر عمر فروخ أن الشابي تزوج زواجا خائبا وذلك عام ١٩٢٨ ورزق ولدين ، كما يذكر ان والد الشابي توفي عام ١٩٢٩ .

ويكمل لنا أبو القاسم محمد كرو حياة الشابي فيقول أنه التحق بمدرسة الحقوق التونسية وتخرج عام ١٩٣٠ كما يحدد موت والده بانه في أيلول (سبتمبر) ١٩٢٩ ويذكر ان الشابي بعد ذلك صدم صدمة نفسية عظيمة حيث أعباء عائلته الكبيرة المؤلفة من أم وأبناء صغار وتحمل تبعات جسام أمام ضميره وامام القانون وازاء هذه المسؤوليات الكبيره أصيب بداء تضخم القلب وعرض نفسه على الاطباء فاشاروا عليه بتقليل الارهاق والمطالعة . والعيش في مناطق طبيعية ، فطاف في تونس الجملية حيث نظم لنا أجمل قصائده .

أما الاستاذ عمر فروخ فانه يقول في كتابه «شاعران معاصران» :

«فمؤلف كتاب الشابي أبو القاسم محمد كرو يقول عن الشابي : «انه أصيب بداء تضخم القلب» بينما محمد فهمي مؤلف الروائع لشعراء الجيل يقول : «لقد أنشب الداء بصدر الشاعر أظفاره» مما يدل على ان المرض كان مرض السل الرئوي . وايا كان مرض الشابي فانه كان يقتضي علاجا مستمرا وراحة تامة» .

وقد أجمع الذين بحثوا في حياة الشابي وشعره على ان أحوال الشابي المادية كانت سيئة للغاية .

ثم يتابع أبو القاسم محمد كرو حديثه عن حياة الشابي فيقول : انه توفي يوم الثلاثاء في التاسع من شهر تشرين أول «أكتوبر» عام ١٩٣٤ ولما يبلغ السادسة والعشرين من عمره ·

تعليق

برغم الخلافات التي رأيناها في سرد حياة الشابي فاننا نستخلص اجماعا من الكتاب على الخطوط العريضة : فهو قد ولد في عام ١٩٠٩ من أسرة دينية محافظة وفي منطقة طبيعية رائعة ، ودرس في الكتاب وجامع الزيتونه وتزوج وتوفي والده وكانت ظروفه المعيشية سيئة للغاية كما ان المرض فاجاه في غمرة الشباب وكان له الاثر الكبير ، كما كان للاستعمار الفرنسي اثرا لا يتجاهل في تكوين نفسيته وشعره · وقد توفي عام ١٩٣٤ ·

ولايستطيع القاريء ان يتخيل أثر الانطلاق الطبيعي في بواكر حياة الشابي في تلك البيئة التي لاتعرف الا الجمال والحرية · كذلك زاد من حب الشاعر للانطلاق والحرية تلك القيود التي ولد ليجد موطنه مكبلا بها ·· تلك هي قيود الاستعمار الفرنسي الذي عرفت عنه القسوة المتناهية ، واظهر ذلك ولد في نفسية الشاعر رد فعل عنيف تمثل واضحا في شعرة الثوري وصرخاته العميقة · أما دخول الكلية الزيتونية في تونس فيبدو واضحا انه سيؤثر على الشابي أثرا كبيرا كون تونس العاصمة منطلقا للتحرر من التقاليد القديمة وعقال البيئة المحافظة · فوجد في المدينة ما نفس به عن ما كان يعاني من صدمات نفسية نتيجة الوثاق الشديد الذي يشده الى الماضي والذي يتمثل في العناصر الرجعية في وطنه · فهو عند التحاقه بمدرسة الحقوق التونسية قاد الحركة الطلابية وشارك في انشاء جمعية الشبان المسلمين والنادي الادبي بتونس ونادي الطلاب بتوزر ·· أما زواجه الفاشل فقد جعله يتعلق على ما يبدو بفتاة أخرى نلمح في شعره انه أحبها حبا داميا ملك عليه مشاعره فكتب أجمل قصائده الغزلية · ووفاة والده جعلته يرزح تحت أعباء جسام ما استطاع لها دفعا أما الداء الذي أنشب أظفاره فيه فقد كان له أثر واضح في شعره ·· فقد دفعة الى التجوال في بلاده الجميلة حيث كتب أجمل قصائده ·

ويذكر ان الشابي كان واسع الاطلاع على الكتب القديمة فقد اطلع على أمهات هذه الكتب أمثال «الاغاني والامالي ، وصبح الاعشى ، والكامل والعمدة ، والمثل السائر ، ونفح الطيب ، والصناعتين» كما اطلع على كتب اللغة مثل «لسان العرب والقاموس»

العوامل التي أثرت في شعر الشابي :

تضافرت عدة عوامل لتخلق تلك الشاعرية بمعانيها واغراضها وأساليبها ·· لقد ذكرنا أثر البيئة البعيد في جعل الشابي ينحو نحوا معينا من الشعر ، فتلك البيئة قد حددت أغراضه الشعرية من وطنية وغزلية ووصف لجمال الطبيعة وحب الحياة · ومن هنا كان الدافع الذي جعل الدكتور عمر فروخ يؤلف كتابه «شاعران معاصران» ، ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي على اعتبار ان هذين الشاعرين قد تشابها في اغراضهما الشعرية وفي ظروفهما الحياتيه وموتهما المبكر ومعاناتهما للاحتلالين البريطاني والفرنسي الذين تتشابه أساليبهما الاستعمارية ·· ولكننا نجد اباالقاسم محمد كرو في كتابه «كفاح الشابي» ينقد الدكتور عمر فروخ حيث جمع بين شاعرين يجد محمد كرو انه من غير المناسب الجمع بينهما لاعتبارات كثيره اوردها في كتابه ·· ولا ارى ضرورة هنا في ايراد تلك الفروق وتكفي الاشارة الى ان ابا القاسم محمد كرو كان محقا في ذلك ·

وبالاضافة الى عامل البيئة الذي ذكرناه فهناك عامل تاثره بامهات الكتب التي عددناها في التعليق ·· أضف الى ذلك كون الشابي لم يعرف لغة اجنبية على الاطلاق كما يرى ذلك طه عبد الباقي سرور حيث يقول في كتابه : «أبو القاسم الشابي شاعر الشباب والحريه» : «وبذلك يجمع مؤرخو الشابي على انه لم يكن يعرف لغة أجنبية فرنسية او انكليزية» ولا يفوتنا هنا ان نذكر ما ذكره ابو القاسم محمد كرو في كتابه : «الشابي حياته وشعره» من ان الشاعر تاثر ببيئة اجتماعية تتمثل في فساد المجتمع ومرضه والاستعمار الفرنسي وكذلك العناصر الرجعية كما تاثر بطه حسين في أسلوبه وتفكيره ويضيف في بحث مسهب ان جبران كان له أثر كبير في الشابي ولا يفوته أن يذكر ان الشابي قد تاثر بغير جبران من المهجريين أمثال ميخائل نعيمة وايليا ابو ماضي ·

ونجد نعمات أحمد فؤاد في كتابها «شعب وشاعر» تعارض ذلك حيث تقول : «ان من يقرأ حياة الشابي ودفع المرض له رحبات الطبيعة للاستشفاء ، ثم ما قبل المرض من الام واقع شعبه المرير ·· أما يكفي هذا كله لايحاء مثل هذه الابيات دون حاجة قائلها الى ترسم أثر ؟»

ولا تنس ان تورد رأيا يؤيدها في ذلك وهو رأي الدكتور ابو شادي حيث يقول :

«لقد كان الشابي ذاكرة فوتوغرافية ، وهو الذي حفظ القرآن في التاسعة من عمره حفظا كاملا ، كما كان له اطلاع واسع على الادب العربي وحده ، وكانت له قبل هذا وبعده لوذعية أصيلة حلقت فوق كل تقليد وتاثر وحتى منذ نعومة أظفاره ، وعلى ذلك لنا أن نعتقد ان أية مشابهة بين شعره وبين بعض الشعراء المهجريين هي من باب المصادفة لااكثر ٠»

أما ابو القاسم محمد كرو والذي ذكرنا انه قال بتاثر الشابي بالمهجريين فيورد لنا أبياتا من الشعر لجبران وأخرى مثلها للشابي ليرينا التشابه بين تفكيرهما ونظرتهما الى الحياة مع الفارق البسيط الذي لا يذكر ٠

يقول جبران :

ليس في الغاب رجاء
لا ولا فيه الملل
كيف يرجو الغاب جزءا
وعلى الكل حصل
وبما السعي بغاب
أملا وهو الامل
وانما العيش رجاء
احدى هاتيك العلل
أعطني الناي وغن
فالغنا نار ونور
وانين الناي شوق
لا يدانيه الفتور

ويقول الشابي :

وان أردت قضاء العيش في دعة
شعرية ليس يغشى صفوها عكر
فاترك الى الناس دنياهم وضجتهم
وما بنوا لنظام العيش أو رسموا
واجعل حياتك دوما مزهرا نضرا
في عزلة الغاب ينمو ثم ينعدم
واجعل لياليك أحلاما مغردة
ان الحياة وما تدوى به حلم

شعر الشابي :

لشعر الشابي صفات وميزات تجعله يختلف عن بقية الشعراء العرب ٠ وترى نعمات احمد فؤاد في كتابها «شعب وشاعر» ان ابا القاسم كان متفائلا اكثر منه متشائما وانما التشاؤم جاء نتيجة ظروف قاسية ٠ ومن الطريف انها تورد لنا في كتابها «ان الشابي هتف بلفظة الحياة والامل في ٣١٥ موضعا ، منها ١١٦ لكلمة الحياة نفسها واما البقية فتدل على الحياة وما فيها النشاط والمتعة والشباب والامل والاماني ٠٠ وتذكر ان الشابي ذكر الموت ١٢٥ مرة»

وفي نفس الكتاب نجدها تقول :

«لقد عاش الشاعر فهو ابن الحياة والام حبيبة وان عنفت جميلة وان شاهت ٠ ومات الشاعر في حياته او مات بعضه في أبيه وحبيبته ، فالموت غريمه» ٠

وتضيف الكاتبة :

«فليس نظرات الشابي في الحياة والموت فلسفة بمضمونها الصحيح ولكنها تأملات واعية ونفاذ فحسب لافلسفة قائمة متكاملة او تامة الحلقات كما يغالي الاستاذ الحليوي في تقديره»

ومن ناحية أخرى يذكر ابو القاسم محمد كرو ان هناك شعور غربة في شعر الشابي فهو يبدو كانه لا يمت بصلة الى شعبه التونسي ، أما نعمات أحمد فؤاد فقد تناولت ذلك باسهاب واهتمام كبيرين حيث تقول في كتابها «شعب وشاعر» عن الشابي :

«ولما كان معنى النفس بالامه والام شعبه معا ٠٠ شعبه الذي يصرخ فيه فتصبح صرخته في الفضاء أو هكذا خيل اليه فهو يريد ان يتناسى هذا الواقع الحالك فيرتمي في أحضان الطبيعة الرؤوم على صدرها يهدهد أساه فتحلو له الجداول والبلابل والغاب والبحر والنجوم والنهر والضياء والصدى والطفل والنسيم ٠٠ ان الانسان ابن الطبيعة والبر وهو أدنى الى قلبها من هؤلاء جميعا لانه أشد بها علوقا من هؤلاء جميعا واكثر تمجيدا»

ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا
سعيدا بوحدتي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال وفي الغا
بات بين الصنوبر المياد
وأغني مع البلابل في الغاب
وأصغي الى خرير الوادي

وتمضي نعمات أحمد فؤاد فتقول ان الدكتور احسان عباس يرى ان حملة الشاعر على الشعب ليست لنقص حقيقي في الشعب نفسه بل لنفس اعتباري لان الشعب أبي ان يعترف بعبقريته الشعرية التي رمز لها الشاعر بالكاس والاباهير ٠ وازاء ذلك فان الكاتبة تقف موقف

المعارض حيث تقول في كتابها «شعب وشاعر» :ـ

«أهذا كل السبب ؟ ايذكي سبب كهذا مثل وقدة الشابي ويعبيء مثل شخصيته ؟ لا أخال ٠٠ ولماذا نغالط الحقيقة ٠٠ الم تاخذ شعوبنا العربية في أيام الشابي سنة من نوم بل غط بعضها في سبات عميق ؟ الا يعد الرقاد نقيضا في عصر طائر مجنح ؟»

وتورد رأي الاستاذ محسن بن حميده :

«الشابي هو في زمانه الشاعر الوحيد الذي كان يعيش مأساة شعبه كلها ويحاول ان يبعث فيه روح الثورة على الموت والايمان الصادق بانتصار الحياة ٠٠ هذا يجعل الشابي في نظري أب الشعر العربي المعاصر لانه اول من عاش مأساته الخاصة في مأساة شعبه ولم يحاول قط في أنانية وادعاء أن يفصل هذه عن تلك وأربما لم يكن التلميح أو الاشارة الى مأساته الخاصة الا مجرد وسيلة للتعبير عن المأساة العامة»

وكما يرى الاستاذ محمد العرسي ان تشاؤم الشابي ويأسه من شعبه دفعه الى الاعتزال والهروب الى عالم خيالي فرسالة الشابي انتهت بسلبيه بغيضه ويأس قاتل

ايها الشعب ليتني كنت حطا
با فأهوي على الجذوع بفاسي
ليت لي قوة العواصف ياشعبي
فألقى اليك ثورة نفسي
في صباح الحياة ضخت أكوابي
وأترعتها لخمرة نفسي
ثم قدمتها اليك فاهرقت
رحيقي ودست ياشعب كاسي
انني ذاهب الى الغاب ياشعبي
لاقضي الحياة وحدي بيأس

ولعل من الطريف ان أبا القاسم محمد كرو في كتابه «الشابي حياته وشعره» يورد عناوين بعض قصائد الشابي ليريك الفرق بين نوع من هذه القصائد ونوع اخر منها ٠ فمن ذلك عناوين القصائد المتفائله التي قالها قبل ان يصاب بالمرض مثل :

«أغاني الرعاة ، ارادة الحياة ، تحت الغصون ، الايمان بالحياة ، قلب أم ، الساحرة ، أراك ، وفكرة الفنان» ٠

ثم القصائد التي قالها بعد اصابته بالداء ومثل تلك:

«في ظل وادي الموت ، زوبعة في الظلام ، الجنة الضائعة ، أنا ابكيك ، الاشواق التائهة ، اغاني التائه ، وابناء الشيطان» ٠

أما الدكتور عمر فروخ فان له رأيا في شعر الشابي نورده هنا :

«على ان شعر الشابي متفاوت جدا ، فيه الضعيف والركيك وفيه القوي والمتين ثم فيه المعاني المعادة والمكروه وفيه المعاني التي لاتتعم بقسط وافر من الابتكار من حيث التعبير على الاقل ٠٠ أما اذا اردنا ان ننظر الى مجموع شعر الشابي ـ لاالى قصائده واحدة واحدة ـ فلا بد لنا ان نقول بان الشابي كان شاعرا عبقريا»

ويركز عمر فروخ على أثر الادب المهجري وعنصر الدين في أدب الشابي ويستدل على ذلك من التوشيح والرباعيات والثلاثيات والقصائد الوطنية والقومية والسياسية التي بها شعر الشابي ٠

أنا يا تونس الجملية في لج
الهوى قد سبحت اي سباحة
شرعتي حبك العميق داني
قد تذوقت مرة وقداحه

ثم يذكر ان الشاعر يعود الى طبيعته حتى بعد وفاة والده فيقول في رثائه وهو ليس من الرثاء في شيء :

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي
ومشاعري عمياء بالاحزان
انـي ساظما للحياة واحتسي
من كأس المتوهج النشوان
واعود للدنيا بقلب خافق
للحب والافراح والالحان
اذن ابن آدم في قرارة نفسه
عبد الحياة الصادق الايمان

أما أبو القاسم محمد كرو فيرى ان الشابي يمتاز بارتفاع في الاحساس وسمو في المعاني وأبداع في التعبير وتقديس لرسالة الشاعر ٠

ياشعر انت فم الشعور — وصرخة الروح الكئيب
ياشعر انت صدى نحيب — القلب والصب والغريب
ياشعر انت مدامع — علقت بأهداب الحياة

اراء الشابي :

كانت للشابي آراء جمة خاصة في الشعر :

يقول أبو القاسم محمد كرو في كتابه شاعران معاصران : «ان مجلة العالم الادبي التونسية (السنة

الرابعة) ٠ (العدد ٢) (صفحة ٢٥) قد نشرت مقالة للشابي ورد فيها عن الشعراء :

«٠ وهم أولئك الموهوبون الذين يسبقون عصورهم فيغنون أشهى أغاني الجمال واعذب أناشيد القلب البشري لاجيال لم تخلق بعد ، وهم اولئك الذين لا يصورون عادات العصر المتغيره المتحوله بل عادات الحياة الخالده على الدهر ولا يصفون أحاديث الوعاظ والمتكلمين والمتفلسفين بل أحاديث نفس الانسان التائهه في بيداء الزمن ولا يعلنون أسرار القصور والمجالس بل أسرار الازل والابد»

ويورد لنا عبد الباقي سرور في كتابة «ابو القاسم الشابي شاعر الشباب والحرية» تعريف رسالة الشاعر على لسان الشابي :

«ان يحرص الشاعر كل الحرص على التعبير عما يدوي في اعماق نفسه من أصداء الحياة وما يخالجها من وحي هذا الوجود وعلى الابضيع من ذلك شيئا ما استطاع اليه سبيلا» ٠

من تراث الشابي :

في مطلع عام ١٩٣٤ شرع شاعرنا في اعداد ديوانه «أغاني الحياة» ولكن المرض اشتد به فذهب الى تونس للمعالجة ولكن المرض غلبه فتوفي صباح يوم ٩ اكتوبر عام ١٩٣٤ بالمستشفى الايطالي وقد ترك لنا المخلفات التالية :ـ

١ ـ الخيال الشعري عند العرب : دراسة نقديه مقارنه بين الخيال الشعري عند العرب والاوروبيين وقد تعرض هذا الكتاب لنقد كثير ٠

٢ ـ أغاني الحياة ظهر عام ١٩٥٥ ويفتقر الى تاريخ القصائد فقد عرضت فيه بطريقة مشوهة دون تبويب ٠

٣ ـ المقبرة : رواية بين مخلفات الشاعر ٠

٤ ـ رسائل الشابي : وهي الرسائل التي تبادلها مع غيره من الادباء ٠

٥ ـ يوميات الشابي : مذكرات كتبها الشابي في حياته اليومية ٠

٦ ـ جميل بثينه : وهي قصة جميلة باسلوب شعري

٧ ـ شعراء المغرب الاقصى : نقد وتحليل للجزء الاخير من «كتاب الادب العربي في المغرب الاقصى» للاستاذ محمد بن العباسي القباج ٠

٨ ـ الكسير : مسرحية من فصلين فيها نوع من الاعتراف

٩ ـ الهجره المحمدية : محاضرة القاها في نادي الشباب بمناسبة ذكرى الهجرة ٠

١٠ ـ مقالات مختلفة : شئون الادب العربي ٠

من شعر الشابي :

قال يتغزل :

عذبة انت كالطفولة كالاحلام
كالصبا كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء
كالورد كابتسام الوليد

وقال :

ايها الحب انت سر بلائي
وهمومي وروعتي وعنائي
ونحولي وأدمعي وعذابي
وسقامي ولوعتي وشقائي

وقال معلنا أهدافه النبيله في شعره :

لا أنظم الشعر أرجو ... به رضاء الامير
بمدحه أو رثاء ... تهدى لرب السرير
حسبي اذا قلت شعرا ... ان يرتضيه ضميري
ما الشعر الا فضاء ... يرف فيه مقالي
فيما يسر بلادي ... وما يسر المعاني
وما يثير شعوري ... من خافقات خيالي
لاأقرض الشعر أبغي ... به اقتناص نوالي
الشعر ان لم يكن في ... جماله ذا جلال
فانما هو طيف ... يسعى بواد الضلال
يقضي الحياة طريدا ... في ذلة واعتزال

ونتبين من هذه النبذه رقة أسلوب الشاعر ونبل أهدافه ونفسه الشريفه فهذا الشاعر الذي صدح في تونس العربية قبل أربعين عاما يرن صداحه في كل بقعة سمعت بلغة الاضداد ٠

وما يجب ان يقال يفوق كل ما قيل آلاف المرات ٠

المراجع

١ ـ شعب وشاعر ، نعمات أحمد فؤاد ٠
٢ ـ الشابي : حياته وشعره ، ابو القاسم محمد كرو ٠
٣ ـ كفاح الشابي ، ابو القاسم محمد كرو ٠
٤ ـ الشابي : شاعر الشباب والحرية ، طه عبد الباقي سرور ٠
٥ ـ شاعران معاصران ، عمر فروخ ٠

الابـكم ـ تتمـة

الصوت من زمن بعيد · ازهرت ورود الحديقة واعتراها الذبول ياسيدتي ·· والصوت المنتظر الموعود لم يتردد في اجواء حديقة فندقكم ··

أصبحنا نسمع اقدام الصمت تدب دبيبـا يبعث فينا الرغبة ان نفعل شيئا ما ·· حاولنـا النطق ولكننا لم ننجح ·· حاولنا الصمت ولكننا كدنا نفنى في طيات الصمت · وسألنا انفسنا : ماذا يمكن ان يحدث في هذا الفندق ان كـان الرنين الصاخب يتركنا كالسجناء في زنزانـة تتجاوب فيها الاف الاجراس ؟

وخشـينا فقـدان السـمع ·· ويئسـنا من صخب الرنين المدوي ·· وزوجك يا سيدتي ؟ ماذا كانت احساساته ؟ لم يتكلم لم يثبت للنـزلاء شيئا ·

فانتظروه ، وانتظروه ،وانتظروه والرنـين الصاخب لم يتوقف · والصوت المتوقع لم يات· والنزلاء لم يعودوا يطيقون البقاء ·

(يتوقف)

سيدتي ·· موت الابكم بعث جديد لنا وللفندق وللورود ··

(صمت رهيب· موسيقى جنائزية الطابور يبدأ بالتحرك) ·

صاحبة الفندق : (تحاول التمسك بزوجها ·· ولكنها تتراخى ··)

لم يبق امامي الا ··

(يخرجون)



*** اسماء الدجاني ـ اريحا**

أولا ـ هذا الاختصار الشديد ، لا يعطي الموضوع حقه ·

ثانيا ـ الكتابة الى صحيفة تحتاج الى مراعاة الخط الانيق واستعمال الحبر اذا امكن ·

*** م· ز· سخنين**

ان قصد الشاعر وحده ، لا يجعل من النثر شعرا، (احتراق وشوق) لا تأتي بجديد ، حتى لو اعتبرت نثرا ·

*** ع· م· نابلس**

قد يكون الشعر اي شيء اخر عدا العبـارات الجنسية المنظومة ـ الامر يحتاج الى بعض التقيد بالوزن والنحو ، نعتذر عن نشر قصائدك السبع ·· ان هذه الغزارة يا سيدي لاتعطيك مجـالا للتروي ، لاتحاول مسابقة نفسك ·

*** ق· ك · ام الفحم**

قصة المشنقة جميلة التعبير ، الا ان محاولاتك المبالغة في الانفعال تجعل منها بعيدة عن المنطق ، اهنئك على اسلوبك الجميل ـ ان القليل مـن التروي والمزيد من المران يكفلان نجاحك التام · القصة الثانية جميلة

*** ج· م· ن ـ طرعان**

لااعتقد ياصديقي انك كتبت هذا الهجوم عـلى الشاعر (···) بدون دوافع شخصية ، على اي حال ارجو ان يكون تعاوننا على مستوى افضل من المنطق واللطف ·

*** ف· ج· ع· ـ الناصرة**

رغم رقة قصيدتك ، ليس في الامكان نشرها · نشجعك بحرارة على الكتابة المتواصلة ·

ـ التتمة على ص ٤٧ ـ

دراسة قصص العدد الماضي من «الشرق»

بقلم : حسن فياض دقنيشه / الخليل

١ – سقوط المريا .. لزكي درويش

شأن كثيرات من قصص زكي درويش المتأخرة لا تقوم هذه القصة على حدث او احداث انها فقط تتتبع رجع وفعل احداث في نفس انسان ، فمن اعتاد الاهتداء الى مآرب القصة وجمع اطرافها بملاحقة احداثها فسيجد نفسه هنا غير هاد او دليل .. وسيشكو من ضياع او شبه ضياع وسيقول في النهاية او قبل ان يبلغ النهاية : «انها قصة غامضه ومشوشه او هي سائبة حتى ان يدي لاتكاد تنقبض منها على شيء» .

ومثل هذا الحكم ومن هذه الزاوية صحيح . ولكن الرؤية الحق لا تكون من زاوية واحدة والا تتحقق من النظرة الخاطفة العاجلة . ومن هنا لابد من تغيير زاوية النظر السالفة والنظر اليها من جديد ، ذلك ان هذه القصة تسجل وتصور رجع الاحداث لا الاحداث نفسها فالانفعالات هي الاساس اما الاحداث فتقع منها في منطقة الظل . وحتى هذه الانفعالات تبدو في هذه القصة شبه مشوشة وغير منسقه ذلك انها انفعالات انسان يعاني من وطاة ما يمكن ان نسميه كابوسا والقصة بالتالي اشبه بقصة كابوس :

يعاني «علي» حالة نفسية حادة «واخطر الامور مايدور في الخفاء وعندما يندفع الى الخارج يتحدى اكبر القوى جبروتا وعنفا» وهو كما تراه صديقته «اميره» «يخدش اروع اللحظات ، يعيش بعيدا عن الاشياء في داخلها» وحينما يصف هو شعوره وحسه يقول : «هنا على جبهتي ستمر العجلات ومن عيني ستشرق ازهار حمراء ، الرائحة التي في شعري ستصير غفنه قرع الطبول يرتفع كل يوم» ويخاطب صديقته «اميرة» في موضوع اخر قائلا : «ان ساعات الصمت رهيبة ، لماذا اوقفت المذياع ؟ انني احب الاصوات ايا كانت .. الصمت قاتل ، اسمع اصواتا كبيرة جدا ، رأسي يضيق بها تماما ، طائرات دبابات مدافع ثقيلة ، اميره اخنقي هذا الصمت ، ادفعي الاصوات الداخلية الى الانكماش»

هذه هي مأساة علي وهذا هو ما يعانيه ، انه لايعيش مع العالم الخارجي ان يعيش مع عالمه الداخلي ولايرى العالم الخارجي الا من خلال عالمه الداخلي ولذا يبدو حديثه والحديث عنه غريبا وغير مفهوم .

اما سبب حالته هذه ومعاناته فقد قاربت الوصول : اعلانات ترتفع وتتسع مساحة ارضيتها يوما اثر يوم حتى انها لتحجب الحديقة العامة . والدوائر السوداء تتكاثر وتتسع حتى لتغطي سطح المرآة وتحجب عنه العرض السينمائي ذاته . وصفحات الصحف المسائية الاخيره كلها سوداء لانها مليئة باسماء القتلى بالطبع . فمأساة علي اذن هي مأساة الانسان وهو يرى الحرب تلتهم منجزاته وتزهق انسانيته وتهدم عالمه وهو مع ذلك يرى نفسه عاجزا عن دفع هذا الخطر ، ووقف تياره الجارف ويعبر عن ذلك كله ضيق علي من لوحات الاعلانات فينفس عن نفسه بتمزيق الاعلانات – الداعية الى الحرب طبعا – بعد ان عجز عن تحطيم لوحاتها .

وتهزنا مأساته التي هي مأساة الانسان حين يوصف – بسبب تصرفه هذا – بالجنون فيرتاح رهو لهذا الوصف ويبدو الناس مشاركين له في بعض مشاعره واحاسيسه حين «استخف الطرب المشاهدين ثم تحول الطرب الى ابر دقيقه احس بها كل واحد في شفتيه وعينيه وهجم الانكسار» الفضي طبعا .

ولعل القارىء وقد تذوق هذه القصة بعد جهد يتطلع الى ان اشاركه التوجه الى الكاتب بان يعفيه من بعض هذا العناء فيجنب قصصه الغموض او هذا القدر من الغموض على الاقل واحس في نفسي رغبة في ذلك ولكني اتردد اذ اني اكاد اسمع الكاتب يقول : «انا لا اقص ما يشاهده الناس في عرض الطريق او في منتدياتهم او محلات اعمالهم ولهوهم بل اقص ما تضطرب به نفوسهم في اعماقها والتسلل الى شعابها واغوص الى مكنوناتها .. وهذه ليست بالوضوح المالوف ولا مما تستبينه العين العادية .. والدقة والامانه في النقل – والعدوى ايضا – تترك بصماتها على الاسلوب فياتي

غامضا او يبدو غامضا ٠

ومع ذلك ٠٠ ورغم ذلك فلا بأس من استرحام الكاتب ولا بأس من ان نستمع الى رده ان رغب ٠٠ وله في الصفحة التاسعه متسع ٠

٢ ـ حوض الماء ٠٠ لعبد الله عيشان ٠

النزاع بين اهل القرى المتجاورة ظاهرة معروفه لدى الشعوب المتدنية في افكارها ومفاهيمها ويزيد من حدة هذا النزاع ويؤرث نارهفي العاده خصم الامه الحاكم

هذه الظاهرة هي مدار القصة على وجه التقريب : «فالشعابين» و «الربوة» قريتان متجاورتان وتشرفان على خليج عكا ٠ «والشرقي» عين ماء في ارض «الشعابين» ترده نساء وفتيات «الربوة» كما يستقي منه رعاة «الشعابين» صيفا ٠ تجاوز رعاة «الشعابين» مرة حدود الادب تجاه نساء وفتيات «الربوة» فتعالى السباب والشتم والضرب بالشبشب ٠ بلغت الانباء اهل القريتين فاهتزتا وتبادلتا رسائل غاضبة منذرة او متحدية وراحتا تاخذان الاهبة لدفاع او هجوم ٠ وتراءى النصر للشعابين ميسورا وحلوا خاصة وانه يجلب لهم اراضي الربوة ونساءها وبناتها ويمكن المرطه شيخ شباب الشعابين من الست عيشه ابنة شيخ الربوة الشيخ علوان وان كان ينازعه في هذه السبية المرتقبه شاعر الشعابين الطيار ٠

نشبت المعركة بهجوم «الشعابين» المباغت على «الربوة» صبيحة يوم كان القسم الكبير منهم في حقولهم او مع ماشيتهم ورجحت كفة الشعابين بحكم كثرتهم فانصرفوا الى جمع الاسلاب وانشغل شيخ شبابهم المرطه بسبيته الست عيشة في وقت وصل فيه رجال وشباب الربوة وفيهم مفلح ابن عم عيشة فانقلب مجرى المعركة وولى الشعابين الادبار مخلفين قتلاهم وفيهم شيخ شبابهم المرطه الذي صرعه مفلح انقاذا لابنة عمه عيشه ٠

هذا موجز القصة ٠ اما القصة كاملة فتطلع القاريء على صورة واضحة للقرى العربية وادعة مطمئنة حينا ومضطرمة بالحقد حينا اخر وتصور له مجالسها ومنتدياتها مضطربة متقلبة بين اندفاع وحمية الشباب وبين اناة وروية الشيوخ ٠ والقصة ـ كاملة ـ تكشف مدى ما بذله صاحبها من جهد مشكور وما وفر لها من امتاع وافادة وقوة تأثير ٠ وهي دون القصص الاخرى التي نشرتها «الشرق» للاخ عبد الله خلافا لما هو مؤمل دائما في ان يكون اللاحق خيرا من السابق ٠

ان ادنى تأمل للقصة يشعر بان الكاتب كان يلهث وراء الاحداث منصرفا الى متابعة تلاحقها وتواليها مع ذكر تفاصيل لامحل لها في معرض كتابه قصة قصيرة حتى ليظن القاريء نفسه انه يقرأ فصلا من فصول قصة عنترة او بني هلال الشعبيتين ٠

ومن هنا فان انصراف الكاتب الى الاحداث مجردة قد اوقعه في محاذير ليست هينة حين جنح اسلوبه الى التقرير والخطابه فراح القاريء يطالع سرد الاحداث وتعليلها وتعليق الكاتب عليها معا بدل ان يكون التعليل والتفسير والاعتبار طلبة القاريء يسعى اليه ويبلغه بنفسه اثر الفراغ من القصة باستعادتها في ذاكرته وبتأملها مواصلا العيش مع احداثها ومواقفها المؤثره ٠

وقد حرم الكاتب قصته من قسط كبير من جاذبيتها وفاعليتها حين سلبها عنصر المفاجاة وخاصة حين كشف عقدة القصة او ازمتها منذ بدايتها فقال في ص ١٨ :

«فالشرقي نبع ماء قائم على حدود ارض ـ الربوة ـ الشرقيه وعلى ارض ـ الشعابين ـ هو سبب النزاع الدائم والعداء المتأصل» ومثل هذا التعليل في القصة متكرر ٠

وفي ختام الحديث عن احداث القصة فان اعتقادي ان الكاتب جمع بين متناقضين حين صور القريتين الفلسطينيتين في عهد الانتداب قد بلغتا حدا من الرقي جعلهما تتبادلان الانذارات في رسائل محررة شان الدول الحديثه في حين حط من مستواهما الى حد جعلهما تغير احداهما على الاخرى بقصد الاستيلاء على الارض وقتل الرجال وسبي النساء والبنات ٠

٣ ـ ولا شيء غير الحق ٠٠ لمصطفى مراد

لم يكن «عطار» يحترم الكتاب الاصفر الذي ورثه عن جده لامه لتفاهة محتواه ٠ وزاد من زهده فيه انه يستعد لامتحان جامعي ٠ ورغم ذلك نازعته نفسه الى مطالعته٠ استعاد بعض ما حفظ منه ـ وهو في العاشرة ـ من اخبار العيارين وقطاع الطرق التي يحكيها الكتاب باكبار وتمجيد، وبلهفةعارمه وجد نفسه يتصفحهوتستوقفه ملاحظه في الهامش يمجد كاتبها الاجداد العيارين ويعتبرهم شهداء نهضوا لدفع الظلم ورفع الحيف ٠ وفي اليوم التالي لبس لباس العيارين وتمنطق بمسدسين وراح يستقطب شباب قومه وفاء لعهد الاجداد وبعثا لشعب يفوق عرقه ـ في رأيه ـ كل الاعراق ٠

وفي غمرة تزايد المؤمنين بالدعوة برزت الحاجة الى المال لبناء قاعده تنطلق منها جموع الزاحفين لاحياء

فلسفة الجد الاكبر فجمع «عطار» المال من جيوب وخزائن الاغنياء واشترى به من احد الاقطاعيين هضبه واسعة تضم اكثر من اربعين كهفا فضلا عن مصادر المياه ، الامر الذي حمل اكثر الرعاة على الارتحال ومن لم يرتحل ظل نهبا للفقر والتشرد والحرمان • ومن هذه الكهوف راحوا يخرجون لتطبيق اساليب القتال وقطاع الطرق وفق ما ورد في كتاب الجد الاكبر •• انتقاما للاجداد •

حتى اذا سئم الانصار حياة التخفي والاختباء في اعقاب كل غزوة او عقد صفقة محرمه طلبوا من «عطار» ان يزاولو العمل (المحتقر) فوافق وراى ان يشتري الارض من الاسياد باثمان مغريه الا ان لم يلبث ان اعلن قانونا يقضي بالاستيلاء على ما بقي لاولئك الاسياد من ارض ونفوذ •

عندها استسلم الشعب لحياة الدعه والرفاهية فكان ذلك بداية النهاية •• وحين قدم ـ عطار ـ هذا للمحاكمة وادلى بهذه المعلومات لم يلتمس من المحكمة الرحمه بل أكد «انه غير نادم على ما اقترفته يداه وانه لم يخرج عما تفعله سائر القوميات بل ما فعلته ـ حقيقة ـ كثيرمنها عندما اصبحت تحت ايديها القوة والقدرة على قهر غيرها حتى دون ان يكون لذلك القهر مبرر او دافع من تاريخ او حضارة بائده او سائده •• لكنها الزاوية الشريره في النفس البشرية تابى الا ان تخضع للتهويل والتضخيم الذي تصنعه هي ثم تعتنقه عقيدة ومذهبا في الحياة» •

هذا موجز ما يخرج به قارىء القصة التي كتبها الاخ مصطفى في شكل متولوجات اداها ثلاثة اشخاص هم ـ عطار ـ قائد الحركة ، وشخصية معارضة له وان كانت من شعبه وثالثه مؤيده لحركته • ولكن هذه المتولوجات ليست من قبيل تداعي الخواطر ومناجاة الانسان لنفسه في معرض افضائه بما يعتمل به من احاسيس وانفعالات وانما هي اعترافات متهم او شهادة شهود يدلون بها امام قاضي المحكمة ولذا فقد غلب على الحوار ـ وهو حوار من طرف واحد ـ سرد الوقائع والاحداث وما يمكن ان يتصل بها من مشاعر واحاسيس •

وقارىء القصة يعيش مع شخصياتها حياتها ويتأثر باجوائهم وتثيره المواقف الحرجة التي يواجونها ويعجب بتمكن الكاتب من فن القصة القصيره كما يلفت انتباهه موضوعها حيث انه غير مطروق في القصص المحلي •

واراني مع ذلك انظر الى هذا القارىء وقد انهى القصة وراح يتساءل : اين ومتى وقعت او يمكن ان تقع احداث هذه القصة او ما يقاربها ؟ وهل يحصل من طالب جامعي يتهيا للامتحان ان يدع كتبه ليطالع كتابا اصفر يضمر له كل ازدراء واحتقار ؟ واذا حصل ذلك فهل يحصل له ان ينقلب في اليوم التالي مباشرة الى عيار من القرن العشرين ؟ •

هذه التساؤلات التي لاتخفى على القارىء ولا على الكاتب بالطبع تحمل القارىء او تحملني ـ على الاقل ـ على الاعتقاد بان الكاتب لم يقصد حرفية الاحداث ولا ظواهرها ويزيدني ترجيحا لذلك اشارات منبثه هنا وهناك واولها جميعا ـ عطار ـ بما يحمله الاسم من دلاله على الجمع والتاليف بين اشياء متفرقة وغير متجانسه اصلا •

٤ ـ الحاوي ••• لمصطفى بركات

لم تعد العاب الحاوي العجوز مغرية للمشاهدين • تضاءلوا فتضاءل الدخل وراح ابنه «محروس» يستحثه لابتداع لعبة جديدة تضاعف المشاهدين وما يدفعونه من أجر • اتم العجوز تدريبه على لعبة جديدة • تحلق حوله المشاهدون فراح يعلن ودقات قلبه في تسارع : «النهارده يا سادة يا كرام حتشوفوا الحاوي الهمام ••• يدبح ابنه قوام» • ووسط الزحام وتوتر الاعصاب وقلق العجوز على مصير لعبته ولقمته استلقى «محروس» وانتصبت رقبته وتحلقت السكين حولها موهما المشاهدين انه ذبحه • قبل أن ينتزع السكين ليعود ابنه الى الحياة وتنتهي اللعبة بنجاح اقترب منه صوت حاد قائلا : «قديمه يا عبد الباري» وزاد من قلق الحاوي عبد الباري ان صاحب الصوت يقترب باصرار ويكرر رأيه بتوكيد ثم تعدى حدوده واخرج السكين من رقبة الطفل فظهرت اللعبة علانية وانكشفت الحيلة فارتفعت اصوات المشاهدين صارخة : «يا نصاب ••• يا ضلالي» •

لم يستسلم الحاوي العجوز امام هذه التعريه • اخرج من جيبه مطواة حادة (موسى) لاعادة التجربة ثانية اثباتا لصدقه • اجابه المشاهدون بالموافقة تحديا وامتحانا • ازداد حرجه وتحول المشاهدون الى عيون شاخصة وفضول متوثب • اتخذ العجوز القرار فقدم مطواة لابنه • اصطنع الابتسام ونام مكان ابنه الصغير واغمض عينيه •• ووضع منديلا كضمادة فوق عينيه ••• وعاد السكون من جديد •• وبدأ الجميع من جديد يترقبون كيف سيذبح الابن أباه •

هذه هي القصة مبسطة وملخصة ، سلط فيها الكاتب الاضواء على موقف غني بالتوتر والانفعال موقف رجل عجوز سلخ العمر حاويا يستهوي الناس بالعابه البهلوانية ويجني من ذلك المال الوفير ولكن العابه الان

أصبحت مألوفة غير شيقة ٠٠ فتضاءل المشاهدون وتضاءل الدخل ٠ انه بحاجة الى ما يعيد له مشاهديه ونقودهم ٠٠ ولا سبيل الى ذلك غير ابتداع لعبة جديدة ٠٠ وفي هذا مغامرة أي مغامرة ٠٠ قد ينجح فيستعيد مجده ، وقد يفشل وتنكشف الحيلة فيخسر حتى هذا الدخل الضئيل ٠

٠٠ وقد فشل وهنا تجلت روعة الختام كما تجلت روعة العرض ، ذلك ان الختام يبلغ بالتوتر وحدة الانفعال ذروته فيظل القارىء في جو القصة مأخوذا بها حتى انتهائها وفراغه منها ٠ كيف لا وآخر ما في القصة مشهد الحاوي العجوز مستلقيا ومغمضا عينيه بمنديل استقبالا للموت الوشيك والى جانبه ابنه «محروس» ممسكا بمطواة حادة والكل ينتظره بتحد ولهفة ليذبح اباه ٠

وفي رأيي ان الكاتب نجح في قصته نجاحا رائعا باصطناعه أسلوب المناجاة حيث تجنب اسلوب السرد وراح يطلعنا على تطور الاحداث ودخيلة نفس الحاوي العجوز حين يخرج ويعري فلا تخونه حيلته وسرعة بديهته وشجاعته فيقدم نفسه فداء لابنه ودفاعا عن مهنته ٠

ولا يقل عن ذلك تصويره الدقيق الحي لمهارة الحاوي وخاصة من خلال العبارات المسجوعة التي يرددها الحاوي عادة استثارة لفضول المشاهدين وتعمية لخداعه وحيلته فيكون فعلها أقرب الى فعل التنويم: «٠٠٠ وبفضل رب الملكوت اللي خلق من البيضة كتكوت ٠٠ تتحول السكينة لثعبان تقرص اللي ما يوحد الرحمن» «ودلوقتي حتلاقي المسكين اندبح ٠٠٠ وصورته تتحول لشبح ٠٠ يسجد لخالقه ويقول ٠٠ يا ناس الظلم حرام» «صوتي انبح وقلبي اندبح ٠٠ الكل عاهد والرب شاهد ٠٠ بفضله هو مش بفضل عبد ٠٠ الواد يقوم ويعيد الكره تاني من جديد وبص يا اللي بعيد» ٠

الكوميدية الالهيــة ـ تتمــة

الاسبانية التي عملها رجل يسمى ابراهيم الفقه للملك الفونسو العاشر ملك قشتالة ، وقد قرر ذلك الفونسو العالم في كتاب من كتبه فذكر انه امر بعمل ترجمة قشتالية لكتاب المعراج ، واسم هذا الكتاب يرد في كتاب الفونسو العالم في صور شتى ٠

واثبت الريكي تشيرولي في مقال نشره في مجلة الاندلس (مجلد ٢١ العدد ٢) ان مجلس بلدة فلورنسا ارسل سنة ١٢٦٠ برونتو لاتيني الى اسبانيا رسوله الى الفونسو العاشر ، وان هذا الرجل عاد الى ايطاليا بعدد من الكتب مما ترجم من العربية الى اللاتينية والاسبانية ومن بينها «كتاب الصعود» وكان برونيتو لاتيني من اصدقاء دانتي وشيوخه ولا شك انه حدثه بأمر هذا الكتاب ٠

بل اثبت هذا العلامة ان موثق عقود ايطالي هو بورنا فنتورا دا سينيا ترجمة كتاب المعراج من اللاتينية الى الايطالية ، وان هذه الترجمة عرفت في ايطاليا وذاعت بين اهل الادب ايام دانتي ٠ ومن دلائل ذلك ان معاصرا لدانتي هو الشاعر فازيو دلي اوبرتي ذكر كتاب الصعود في شعر له يتكلم فيه عن محمد صلى الله عليه وسلم ٠ وكان يظن ان هذا الكتاب من مؤلفات الرسول الكريم وانه لهذا كتاب مقدس عند المسلمين فقال : كذلك في كتابه المسمى «كتاب الصود» اي كتاب محمد ٠

هذه قصة عمل ادبي اشتركت في صياغته صنوف من أهل العروبة والاسلام مختلفين عصرا وثقافة واحساسا وطبعا ، قام على اساس شريف تعددت صوره، حتى اصبح في يد الشعب الاسلامي عملا لينا خالصا يتطور ويزيد ويتغير بحسب طبع الفنان ، حتى وصل الى صور شتى هي كتاب المعراج في اشكاله التي تحدثنا عنها ٠

وقد وجد هذا الكتاب طريقة الى الادب العالمي ، فتناوله شاعر ايطاليا الاكبر فجعل منه واحدا من معالم الادب العالمي على مر العصور هو الكوميديا الالهية ، اصلها عندنا وفرعها عندهم ٠٠

هل هذا يعيب دانتي ؟ قطعا لايعيبه ٠ كان يحسن ان يقرر انه اخذ ذلك كله عن الاصول الاسلامية ، ولكنه لم يفعل ، وما عليه في ذلك شيء ، فانه فنان شاعر يأخذ مادة يعتقد انها خامة ويصوغها بفنه وعبقريته وقدفعل٠ الان وقد انكشف الغطاء فان الكوميديا الالهية تظل بعد ذلك نموذجا رائعا لمساهمة الحضارة العربية في اعظم ما تفخر به الانسانية من اعمال ٠

ويستطيع القارىء العربي ان يستزيد من ذلك الموضوع بعد ان قام الدكتور حسن عثمان بترجمة ملحمة دانتي الى العربية ترجمة تعد من روائع ما قام به اهل العلم في امة العرب ٠

وقبل النهاية نقول شكرا الف مرة للعالم الجليل ميجيل اسين بلاثيوس ٠

✡ عالم الادب في ثلاثة اشهر ✡

* اعداد : مرشد خلايلة *

القاهرة :

«احاديث مع توفيق الحكيم في عشرين عاما» كتاب جديد ، أعده الفنان صلاح طاهر ، وقد جمع فيه سبعة عشر حديثا أجراها كبار الكتاب والصحفيين مع توفيق الحكيم ·

* * *

● صدرت مجموعة قصصيه جديدة للكاتب الشاب ابراهيم أصلان ، عن دار الكاتب العربي في القاهرة ، بعنوان «بحيرة المساء» ، وهذه المجموعة هي المجموعة الاولى لابراهيم أصلان وتضم اربع عشرة قصة قصيرة ، كلها تجارب متعددة ، ومواقف مختلفة ، لرؤية واحدة ربما عبر عنها هذا المعنى الشاعري لعنوان المجموعة «بحيرة المساء»،بما يوحي به من اتساع وقتامةوحزن ليلي تومض فيه آمال الليل المختنقة ، وتختنق فيه الروح بالشعور العبثي واللاشيئية ·

لكن هذه المجموعة القصصية تعكس في الوقت نفسه قدرة ممتازه في لغة القص ووسائله ، وعمق التجربة وراء هذا الركود ·

كتب غالب هلسة يقول «نحن امام كاتب موهوب دون شك يمتلك ادوات فنه ويجيد التعبير بقدرة لا نكاد نجدها الا عند القلائل من ابناء جيله ···»

* * *

• صدرت اربعة كتب لابراهيم المازني في طبعات جديدة عن دارالشعب ،وهي «قصةحياة» «وقبض الريح» «وبشار بن برد» و «ثلاثة رجال وامرأة» · وهذه الكتب نشرت بعد وفاته ·

* * *

● سيصدر في القاهرة ديوان شعري للشاعر العراقي عبد القادر فريد ، عنوانه «انين القيثاره» يضم ٤٠ قصيدة من الشعر الوجداني العاطفي ، صدره الشاعر احمد رامي بتحيه شعرية · وهذا هو الديوان السابع للشاعر العراقي ·

* * *

● – تم اختيار الدكتور طه حسين رئيسا للمجامع



اللغوية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد ·

* * *

● – «عالم بلا غد» رواية انتهى من كتابتها ، ابراهيم حسين القباني، تقع في ثلاث مائة صفحة وتدور احداثها في حجرة واحدة في مدى ساعتين ·

* * *

● – بعث توفيق الحكيم بمجموعة من مخطوطات اعماله الادبية الى دار الكتب بالقاهرة لحفظها في قسم الرسائل والمخطوطات الذي انشىء فيها أخيرا ·

* * *

● صدر مرسوم بتخصيص معاشات استثنائية تكفل الحياة الحرة الكريمة لكبار الفنانين والادباء واسرهم ومن هؤلاء : اسماعيل ياسين ، وامينة رزق وحسن البارودي ، وحسن فائق ، وفاطمه رشدي ويوسف وهبه ، وشمل المرسوم اسر الفنانين والادباء الراحلين ومنهم سيد درويش وبيرم التونسي ، ومحمد

عبد الحليم عبدالله ، وعلى أحمد باكثير .

* * *

«الفن المسرحي في الادب العربي الحديث» ـ كتاب للدكتور محمود حامد شوكت ، صدرت الطبعة الثالثة منـه ، والكتاب دراسة تاريخية تحليلية من واقـع المسرح العربي .

* * *

«أرض النيل» ـ صدر في الشهر الماضي للدكتور عبد العزيز كامل وزير الاوقاف وشؤون الازهر .

* * *

«الذين هبطوا من السماء» ـ كتاب جديد للاستاذ أنيس منصور يقوم فيه برحلة تاريخية فلكية جغرافية



مثيرة . ويثبت فيه ان الانسان ليس الكامل العاقـل الوحيد في هذا الكون ، ويؤكد ان الانسان أصلـه انسان وليس قردا ، وان آدم وحواء قـد هاجرا الى الارض من كواكب أخرى ، والكتاب يؤكد الكتـب السماوية في كل قضاياها الروحية الكبرى .

* * *

«المآذن وسفن الفضاء» ـ كتاب يعده الكاتـب السويسري المسلم أحمد هوبد عن الاسلام قديما وحديثا وهو موجود الان في القاهرة .

* * *

«تاريخ الانسان» ـ صدر عن اليونسكو في ست مجلدات ابتداء من العصر الحجري ، وعصر ما قبـل التاريخ وينتهي بالمجلد السادس الذي هو القـرن العشرين . يعده ١٥٠ عالما ينتمون الى كل بلاد العالم ـ صدر أخيرا بالعربية الجزء الاول منه في القاهرة ويشرف على ترجمته وخاصة المجلد الثقافي الدكتور أسامة الخولي والعلمي عثمان نويه .

* * *

ـ«الرسالة الجديدة» ـ صدر هذا الاسبوع العـدد الاول منها عـن جمعية الادباء بالقاهرة ، وبـرأس تحريرها يوسف السباعي .

* * *

ـ «جدار من ورق» ـ مجموعة قصصية للاديـب سعيد فايز اديب من دمنهور كون لنفسه ثقافة واسعة، بالاضطلاع والقراءة الدؤوب ، وقد عمل كمدير لاحدى الصحف الاقليمية بالجيزة ، وهو يعمل حاليا بمدرسة أحمد محرم الاعدادية .

نشر عددا من قصصه في كثير من المجلات والصحف كما صدر له بالاشتراك مع الاخرين مجموعة «قسوة الايام» ثم مجموعة أقاصيص من البحيره التي أصدرتها جمعية الادباء بدمنهور وقد فاز بالجائزة الاولى بالقصة القصيرة عام ١٩٦٣ من الهيئة المحلية للاداب والفنون بالاسكندرية ، وعام ١٩٦٤ ، فاز بجائزة المسرحية في مسابقة الثقافة الجماهيرية .

* * *

صدرت في سلسة «روايات عالمية» رواية «الفلاحون» للاديب الروسي ـ انطون تشيخوف ـ ترجمها عـن الروسية مرسي سيد موسى وقد نشرت في مجلة الفكر الروسي عام ١٨٩٧ . وتعتبر هذه الرواية توأما مـن الناحية الفنية للرواية ـ «العنبر رقم ٦» ـ والتـي نشرت في روسيا عام ١٨٩٢ ، وقد أثارتا الكثير مـن المناقشات الادبية في روسيا زهاء عشر سنوات .

* * *

ـ صدر كتاب عن الفكر الاسلامي المعاصر باسـم «فلسفة الايام» لمحمد عبد الواحد حجازي ، يتناول في بعض اجزائه الايام التي يتفاءل ويتشاءم فيها الناس عبر التاريخ .

* * *

مرت خمسون عاما على شخصية الشيخ جمعة ، وهي أول قصة يكتبها الاديب الكبير محمود تيمور ، راسما فيها صفاء النفس البشرية وطبيعتها . والغريب ان يعود الاديب محمود تيمور الى الشيخ جمعة بعد مرور هذه السنوات الطوال المليئة بالتجارب والمحن والانقلابات ، التي وقعت في المحيط العالمي والازمات الطاحنة التـي مرت بها البشرية ، ثم المحاولات المستمرة للوصول الى القمر والتقدم التخنولوجي الذي اصبح سمة مميزة

لهذا العصر بالرغم من كل هذا . أخيرا يعود محمود تيمور ويكتب قصة جديدة باسم «عودة الى الشيخ جمعة» . يهدف منها الى ان الانسان هو الانسان ، لابد له من الصفاء والمحبة والعودة الى الطبيعة دون تعقيد أو زيف .

في ١٦ يونيو ١٩٧١ أطفأ اديبنا الكبير الشمعة السابعة والسبعين ، فقد ولد سنة ١٨٩٤ في حي درب سعادة ، فوالده هو العلامة احمد تيمور ، وعمته الشاعرة عائشة التيموريه واخواه اسماعيل ومحمد تيمور الذي يعتبر من مؤسسي المسرح المصري الحديث ، فما هي معالم الرحلة الطويلة التي قطعها تيمور في عالم القصة والادب واللغة ؟! .

بدأ أدب محمود تيمور محليا يعني بتصوير البيئة المصرية الصميمة والنماذج المحلية من طبقات الشعب ، خاصة طبقتي الفلاحين والعمال ثم تدرج بعد ذلك الى أفق أرحب ، فقدم النماذج الانسانية وطرق الموضوعات العامة ، وحل الطبائع البشرية ، وكان تيمور معجبا بموباسان وتشيخوف ، وتابع خطى هذين الكاتبين ، ثم قام بعدة رحلات الى اوروبا وامريكا والشرق العربي وعبر عن هذه الرحلات في بعض كتبه «شمس وليل» «وخطوات عن الشلال» «وأبو الهول يطير» .

ومحمود تيمور لم يتقيد في كتاباته بمذهب ادبي معين وان كان قد بدأ في فجر حياته الادبية واقعيا مسرفا في واقعيته ، وانتهى اليوم الى اتجاه تحليلي للنفس الانسانية ، والكشف عن الدوافع الخفية للسلوك البشري ، وقد توج المجتمع اللغوي انتاجه ومنحه جائزة عام ١٩٤٧ ، كما حصل على جائزة الدولة للاداب عام ١٩٥٠ عن كتابيه «احسان لله» و «كل عام وانتم بخير» . واختير عضوا في مجمع اللغة العربية عام ١٩٥٠ ، كما اختير عضوا في المجمع اللغوي العراقي ، والمجمع اللغوي المجري . ومنح جائزة الدولة التقديرية في الاداب عام ١٩٦٢ ، ومنح وساما للتحقيق من الطبقة الاولى . كما أنعم عليه بوسام العلوم والفنون من الطبقة الاولى عام ١٩٦٣ .

اصدر محمود تيمور حتى اليوم سبعين كتابا : منها خمسا وعشرين مجموعة قصصيه ، واولها «الشيخ جمعة» عام ١٩٢٥ ، وأخرها المجموعة الجديدة «بنت اليوم» التي «ستصدر في اول تموز ، ومن بينها عشر روايات بدأها «بالاطلال» عام ١٩٣٠ ، واخرها «معبود من طين» عام ١٩٦٩ . كما اصدر ست عشرة مسرحية بدأها بمسرحية «سهاد» عام ١٩٤٢ ، وأخرها «طارق الاندلس» عام ١٩٧١ ، وله اربعة كتب في الرحلات ، وأربعة كتب في الصور والخواطر . كما اصدر احد عشر كتابا بالدراسات اللغوية والادبية ، بدأها بدراسات في القصة والمسرح عام ١٩٤٥ ، واخرها «القصة في الادب



العربي» وبحوث اخرى . ويواصل تيمور تغذية المكتبة العربية بمجموعة من الكتب والدراسات حول الشخصيات الادبية والفكرية التي عاصرها، واعمال تيمور قد ترجمت الى كثير من اللغات الاجنبية منها : الانجليزية والالمانية والروسية والفرنسية واليوغسلافية والمجرية والايطالية والعبرية والاسبانية والقفقازية والصينية . ثم صدرت عنه مجموعة من الكتب النقدية التسهيليه لاعماله الادبية

دمشق

صدر في دمشق كتاب تحليلي من تاليف عدنان بن ذريل تحت عنوان : «عبد السلام العجيلي القصصي والروائي» ويقع الكتاب في ١٢٠ صفحة . وعبدالسلام العجيلي ، شاعر قاص من سوريا ، أشغل منصب وزير خارجية سوريا سابقا، وستصدر له قريبا عن دار الاداب مجموعة قصصية عنوانها «فارس مدينة القنطرة»

* * *

بيروت – صدر ديوان جديد للشاعر العراقي صفاء الحيدري بعنوان «زقاق»

* * *

تونس – صدر عن نادي القصة في تونس مجموعة قصصيه باسم الشيخ كرامة للفقيد الطاهر علي عمران وصدرت كذلك «وردة ورصاصات» لعبد الرحمن عمار

مدريد – ظهرت بالاسبانية ترجمة جديدة من الف ليلة وليلة في مجلدين مع مقدمة في مائة وعشرين صفحة، يتحدث فيها المترجم عن أثر الف ليلة وليلة في الادب العالمي في النثر والشعر ·

لندن :

هارولد بنتر (٤١) ، مع يونسكو وبيكت واحد من اقطاب المسرح الكبار ، اصدر هنا قبل اسابيع ، عن دار «مثون» ، «خمس مسرحيات سينمائية» · الطريف في هذا العمل انه يضع الاسس لنوع ادبي جديد – الكتابة السينمائية · وقد كان جون اسبورن ، الذي أقام لندن عام ١٩٥٦ بمسرحيته الغاضبة «انظر الى الوراء شزرا» ، قد حول للغة السينما رائعة فيلدنغ «توم جونس» – لكنه أعرب عن تحفظه من هذا النوع الادبي وقال ان السبب الوحيد الذي يدفعه لذلك هو المال · وقال غريهام غرين عن هذا النوع انه «اداة ذات وجهين لاستعمال الكلمات من أجل هدف لا أومن به»· بنتر لم يعرب عن اي شعور مماثل بالنسبة للكتابة للسينما ، ونظرة شاملة على نشاطه الادبي ترينا انه ثمة انصراف تدريجي من جانبه الى هذا الحقل ، قد تكون ثمرته ان يخرج بنفسه فيلما في نهاية هذا العام عن سيناريو يظهر في هذه المجموعة · وقد كان بنتر قد حول للسينما اثنتين من مسرحياته «الحارس» و «حفلة عيد الميلاد» · وهذا الكتاب يتالف من خمس سيناريوهات لقصص كتاب آخرين قام جوزيف لوسي حتى الان باخراج ثلاثة منها : الخادم ، حادثة تصادم والوسيط

بقي ان نذكر ان لندن سهرت في اوائل هذا الشهر مع مسرحية جديدة لبنتر هي «الايام الماضية» وهي اول مسرحية طويلة له منذ «العودة الى البيت» عام ١٩٦٥ · وقد قام باخراجها بيتر هال الذي عالجها كما لو كانت غوصة في الزمن والذكرى ، على طريقة بروست : الماضي يلتقي بالحاضر ، وبين الشهوة والموت يقع ظل تمكن تسميته بالحياة ·

باريس :

● في منتصف الشهر الماضي نشرت دار «غاليمار» كتاب جان بول سارتر «مجنون العائلة – بحث عن غوستاف فلوبير» ، الذي يقع في نيف والفي صفحة ، وهو القسم الاول من بحث شامل عن البورجوازية الفرنسية في منتصف القرن التاسع عشر وتقييم جديد لرائعة فلوبير «مدام بوفاري» · وقد عكف سارتر على تاليف هذا الكتاب زهاء العشرين سنة من العمل المتقطع · النظرية الاساسية في الكتاب وضع سارتر اسسها في اواخر الخمسينيات وعمل على تطويرها من ذلك الحين ، وقد استعملها في تحليله لبودلير وجانيه



ومالرميه – التحليل النفسي الوجودي · في عام ١٩٦٦ نشر في مجلته «الازمنة الحديثة» عدة فصول من كتابه لكن النشر اجل ، وقد اعلن سارتر ان الجزء الثالث من العمل سيتناول فترة لويس فيليب وموقف فلوبير من البورجوازية الفرنسية ·

* * *

● بابلو نيرودا (٦٧) ، الشاعر التشيلي ، وصل الى باريس سفيرا لبلاده في فرنسا · وفي حديث له مع مراسلة «ليموند» حين وصوله قال : «قانون الفن ، باعتقادي ، هو قانون الحياة · قصائدي هي مرآة تطوري فاتحتها – المراهق الحيي الفخور في «عشرين قصيدة حب واغنية يائسة» ، ثم المسافر الوحيد في قارة الهنود في «الاقامة في الارض» · الحرب الاسبانية علمتني كيف اتغلب على اليأس · حولتني الى محارب من أجل السلام والعدالة ··· كل ديوان لي هو اشبه بقفزة في الفراغ من الشباك الى الشارع، ثم رجوع من الشارع للشباك»·

ونشير هنا الى ان اول مجموعة شعرية لنيرودا «الفسق» ظهرت عام ١٩٢٣ ، وحين عين قنصلا في رانغون بعد ذلك باربع سنوات كان ذلك فاتحة اغتراب طويل عن بلاده التي احبها · حارب في اسبانيا ، ويذهب النقاد الى ان ديوانه «اسبانيا في القلب» هو فاتحة ادب المقاومة في الغرب

فينا :

«بورغتياتر» قدم في الشهر الماضي العرض الاول لمسرحية يوجين يونسكو الجديدة «لعبة المذبحة» : اربعة

عشر مشهدا تدور ضمن دائرة مغلقة الموت فيها هو السيد . الاحداث تقع في مدينة يظهر فيها الموت ذات يوم ، لدون علة مفهومة ، وتبدأ اللعبة . كل مشهد يقدم لنا تاريخ مجموعة من الناس تحاول مافي طاقتها ان تمنع دون جدوى حلول الموت المفاجيء . الموت يجعل الاحياء متساوين . كل شيء يفقد قيمته ومعناه في ظله . هنا يتخطى عبث مسرح يونسكو ذاته ـ العبث يصبح واقعا ، تاريخا ، هذه المدينة قد تكون في كل مكان . العبث ، كما قال يونسكو في ندوة عقدت في دزلدورف في الشهر الماضي موضوعها «مسرح ماوراء العبث» ، ينبع من تصادم ارادة الانسان باشياء اكتناهها فوق طاقته .

* * *

كاليفورنيا :

مدالية «جيورجيو ليفي ديلا فيدا» للدراسات الاسلامية ، في عامها الثالث ، منحت عن سنة ١٩٧١ ، في جامعة كاليفورنيا ، لفرانسيسكو جابرييلي من جامعة روما ، لابحاثه عن الشعر الديني في فجر الاسلام . وقد اشترك في المؤتمر الذي عقد على شرفه ، الدكتور شموئيل موريه ، الذي حاضر عن «القصيدة الكلاسيكية : شعراء ونقاد» . وقد كان الدكتور موريه قد قدم في «مركز الشرق الادنى» ثلاث محاضرات عن الشعر العربي في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر ، والثانية ـ تأثير التراتيل الدينية البروتستانتية على الشعر العربي في الولايات المتحدة ، اما المحاضرة الاخيرة فقد دارت حول التيارات الاديولوجية للشعر العربي الحديث في العشرين سنة الاخيرة .

* * *

عقدت في المعهد الثقافي في الناصرة ندوة ادبية حول كتاب اراء ودراسات في الفكر والفلسفة لمؤلفه سلمان ناطور وقد اشترك فيها كل من الاساتذه فوزي عبد الله ، وجمال قعوار وعرفان أبو حمد وقد قدم السيد نديم بطحيش سكرتير بلدية الناصرة كلمة تهنئة للمؤلف ، باسم بلدية الناصرة . وحضر الندوة العشرات من المثقفين وطلاب المدارس وقد دار نقاش حول اراء المؤلف المعروضة في الكتاب وكان اهمها موضوع الثورة الفكرية والمرأة .

ويذكر ان هذه اول ندوة فلسفية من نوعها في البلاد ، وقد تمنى المشتركون ان تتكرر مثل هذه اللقاءات الادبية لبحث موضوعها واهميته .

* * *

فاز الصديق الصحفي محمد وتد بالجائزة على اسم (مولاغين) وذلك على مسرحية (التعايش) التي عرضت على مختلف مسارح البلاد .

* * *

القدس :

اهدانا صديقنا الدكتور حنا نقولا طليل العدد ١٠٤ من مجلته (الزنبقة) وهي مجلة شهرية دينية ادبيه ، سياحية ، كشفية ، باللغات الانجليزية ، الفرنسية ، واليونانية والعربية .

* * *

بيتح تكفا :

ارسل الينا الاديب سمير النقاش بمجموعته القصصية الاولى (الخطا) وهي تحوي ثماني قصص ، طبع الكتاب في مطبعة المعارف في القدس . والكاتب من اليهود العراقيين .

* * *

تل ابيب :

تنوي دارالنشر العربي اصدار مجلة للطلاب الثانويين مع بداية السنة الدراسية الجديدة . يشترك في تحريرها الاديب الشاعر حبيب زيدان شويري .

* * *

نشرت جريدة «هآرتس» (١٨ ـ ٦ ـ ٧١) في ملحقها الادبي ترجمة لقصة زكي درويش «مدينة النعاس» ، نقلها انطون شماس الى العبرية . وفي نفس الصفحة ظهر مقال لشمعون بلاص يستعرض فيه بايجاز اعداد «الشرق» في السنة الاولى ، ويشير الى ظهور المجلة على خلفية المجلات الادبية العربية التي صدرت وتصدر في البلاد .

* * *

باقة الغربية ـ صدر مؤخرا الديوان الاول للشاعر فاروق مواسي بعنوان في انتظار القطار .

انا سوداء

تتمة المنشور على الصفحة التاسعة

.. فقط ترقص وترقص على وقع تلك النغمات التي لا يسمعها ولا يدري بها سواها . فلما تلاحقت انفاسها وتصبب عرقها ، ارتمت على الارض وانا في حضنها لم ازل . فحملتني واجلستني قبالها . وركعت امامي كانها سوف تصلي . ومالت ناحيتي تحدق في عيني تحديقا طويــلا اخافني . ثم دست يدها في عبهـا تحت قميصها البالي واخرجت .. كتابــا !. فدفعت به الى احضاني كانه مخلوق حي يشعر ويعي وهي تقول لاهثة مضطربة وكل عصب في كيانها مشدود متوتــر متحفز :

– يا بنت العبيد ! يا بنت الاحزان والذل والحرمان ! اذا اردت ان تتحري .. اذا اردت ان تمارسي بشريتك ... انسانيتك .. اذا اردت ان تتنسمي ريح الحرية ! هاك المفتاح !

فاخذت اقلب الكتاب في دهشة . في حيرة ، لكنني فرحت جدا بالصور الملونة التي فيه . ففتحته على ركبتي وبسطت صفحاته امامي وانكفات اتاملها .

هنا تقهقرت امي الى الخلف تزحف القهقرى على ركبتيها . كانني تمثال مقدس تتعبد هي عند قدميه . وكـانت تلفظ انفاسها في شهقات مكومة ثم فجاة انهارت ارتمت على وجهها فوق ارض الكوخ المتربة وبكت . بكت احزانها كلها .. شبابها كله . حياتها كلها .. وحدتها .. والامها .. وذلها . وضياعها وضياع قومها ! ثم ركعت امامي ضارعة تضم كفيها الى صدرها في قوة . في لهفة :

– بنتي . بنتي – لا تتركي الكتاب من بين يديك ! لاتتركي الكتاب ! اتدرين البهاء الذي حط عليك وانت تمسكين به بانامك الطفلة ! اتدرين الجمال الذي كساك وعيناك ثاقبتان تبحثان بين صفحاته عن الحقيقة ؟ عن الحرية ! عن الكرامة ؟

وقد فاجاتني امي بمعرفتها لمبــادىء القراءة . ظلت تخفي عني الامر حتى التقت شيئا مما تلقت من اسيادها البيض الصغار . تفانــت .. تحايلــت .. واستماتت واستكانت حتى تعلق بهــا الصغار فشحذت منهم العلم . فاقبلوا ضاحكين لاهين يعلمون حاضنتهم . اما امي فكان قلبها وعقلها وروحها ملهوفين . عطشى . فتلقفت الفتات الذي تفضــل به عليها الصغار في لهوهم في امتنــان شديد . ولما ارتقى اكبر الابناء الى مرتبة اعلى في تعلمه ، اهدى كتابه الذي فرغ منه اليها .. حاضنته .

وكان هذا هو الكتاب الذي جاءت لي به وعيناها تترقصان وخطواتهـا تتراقص .

وهكذا . بدات – بعد لعبة النظافة – لعبتي الكبرى فوق كوم الحجارة . لعبة التدريس ، تلقنني امي طوال الليل ما تلقت هي وما وعت في يومها ، على ضوء سراج يضيء بزيت القطن . تمضغ امي بذور القطن ثم تصحنها بين حجرين . اي شيء . واية حيلة ! فقط النور . النور ! ويصبح علينا النهار ليجدها تهرول مع اول شعاعة شمس الى عملها ، ويجدني انا اعد الصناديق الفارغة صفوفا كالمقاعد لتلاميذي – لذاتي من ابناء العبيــد . بكتاب واحد تعلمنا ان وراء جــدران حظائرنا عالما اخر حرا رائعا . وباصبع طباشير واحدة تلقنا الكتابة فوق الواح الخشب . كنت اقرض كل واحدة وكل واحد بدوره اصبع الطباشير ليكتب الدرس على جدران الصندوق الذي يجلس فوقه ونغني ونصلي ونعود لدروسنا . وقد تفتقت اذهاننا الطفلة عن حيلة ليكون لنا حبر نكتب به . عندما ذاب منا اصبع الطباشير اليتيم الذي نملكه . خرجنا كلنا جماعة ورحنا نجمع ثمرات التوت الاسود البرى فنضغطها بين كفوفنا ونجمع السائل في اناء . ونكتب . نبري بمطواة اعواد حطب القطن ونغمسها في عصير التوت الاسود ونكتب ونكتب كنا على استعداد ان نكتب باصابعنا الرفيعة السوداء . فرحة امي وامهات الاخرين كانت تسعدنا .. تحفزنا .. تدفعنا دفعا الى التمادي في تلك اللعبة الجديدة : العلم . لقد كانت صفوف الصناديق الفارغة هي اول مدرسة للعبيد السود في تاريخ المزرعة .. بل في الجيرة كلها .. بل لعلها الاولى في الجنوب كله ! وبلى !

مازلت اذكر رعب ذلك اليوم – يوم اكتشف السيد الابيض مدرستنا فوق كوم الحجارة ! ياالهي ! لقد تجهم مكانه وعيناه جاحظتان تقدحان قدحا . واحتقن وجهه . واكفهر .. واربد . ونفرت عروق رقبته الغليظة خضراء دقاقة . كل عرق في سمك اصبعي . عروق عنيدة لحوح بدت لنا وكانها ستشق جلده وتنهال علينــــا كالسياط ! فتعلقت نظراتنا بها في ذهول مذعور مترقب متوتر . واشلتنا المفاجاة الرهيبة ، فلزمنا مقاعدنا وقد عقد كل منا ذراعيه على صدره في تادب شديد ساذج متوسل متسول . اما هو فقد همدت ذراعاه جانبه في كمد كظيــــم وقبضتاه تنقلصان وتتقلصان . واظافره تنغرز في بطن كفيه وتنغرز فتبيض عقل عقل اصابعه كانما شحبت وبقر لونها من هول ما توقع . من هول ما يدور في باله !

فامسكنا انفاسنا نرقب في رعب قاتل مايكون منه . توقعنا ان ينفجر في اية لحظة وينقض يطيح بمقاعدنا بركلهــا وبقتتها .. وبركلنا نحن وبقتتنا .. ويحرق كتابنا الواحد .. ويهدر عصير التوت البري الاسود الذي نكتب بــه ليسيل مراقا في التراب . اي شيء . وكل شيء ترقبناه وتوقعناه بعيون جاحظـة وقلوب راجفة .

لكن شيئا من ذلك كله لم يحدث .

كل الذي حدث انه فح من بين اسنانه

الطبقة ونظرته بعيدة عبر رؤوسنا :

ـ لا، لا !

ورسمت ذراعه نصف دائرة في الهواء، تؤكد كلامه كانها تمحو عن ناظريه صورة كريهة . ثم استدار وسار يترنح عائدا الى قصره وقد احدودبت كتفاه واندس بينهما عنقه .

ففرحنا ، نحن الصغار .. فرحنا جدا . ظننا انه لم يبال ، او قد اخفتنا ساحرة طيبة بسحرها عن عينيه فلم يرنا .

فتبادلنا نظرات متراقصة ثم انفجرنا ضاحكين متهللين، لكن ضحكاتنا تحشرجت في حلوقنا عندما شق الكون صراخ حادملتاع ثم ساد سكون اشد حدة . ابعد لوعةواكثر حيوية واعنف ضراوة . فانطلقنا صوب الصراخ مهرولين نقع ونقوم .. ونقوم ونقع .

لكنا لم نصل الى قصر السيد الابيض.فقد لم نصل . لم هنالك داع . فقد رايناها على البعد كما راها معنا الزنوج الكبار حيث ينحنون في حقول القطن . رفعوا رؤوسهم يظللون عيونهم بايديهم الخشنة السوداء ويلقون بابصارهم ناحية الصراخ الحاد الملتاع . فراوها على البعد كما رايتها انا وسط ثلة اطفال العبيد .. تتارجح من عنقها في غصن اعلى شجرة : امي ! .

اجل .

شنقها .

وصمتت محدثتنا العجوز .

صمتت ورفعت انملة عجوزا مثلها ومكمشة ترتعش بحمل السنين ، والتقطت حبات من دموع شديدة البريق كانها من زجاج وهي تتارجح على خدها الاسود . وجلست مكانها فوق منصة الشرف .

هنا دوت قاعة الاحتفالات بالتصفيق الهادر تحية للرائدة الزنجية مؤسسة اول جامعة للزنوج في الجنوب !

المشتركون الفخريون

١ ـ الآنسة جهاد زايد ـ القدس

٢ ـ عبد الستار ابو عمشه ـ الطيبه

٣ ـ حسن قاسم زيدان ـ معتمد قرية يما

٤ ـ عدنان عمشه ـ الطيبه

٥ ـ الاديب محمود كناعنه ـ الناصرة

أسرة الشرق تشكر اصدقاءها وانصارها على اشتراكهم الفخري .

ترسل الاشتراكات العادية والفخرية الى ادارة مجلة الشرق ص.ب ٤٢٨ القدس .

الاشتراك السنوي : ١٠ ليرات اسرائيلية .

الاشتراك الفخري : ٢٥ ليرة وما فوق .

البراعم

أهدتنا الآنسه هند كرد رئيسة تحرير البراعم العدد الرابع من مجلة «البراعم» الخاص بالعطلة الصيفية. وهو عدد حافل بالمقالات الادبية والعلمية والتربوية للطلاب ، وتتمتع هذه المجلة بمستوى رفيع ، واخراج أنيق . أسرة الشرق تهنىء اسرة تحرير «البراعم» على هذه المجلة المفيدة لابنائنا .

بريد الشرق ـ تتمة

* الى ـ (سين) البقيعه

لانستطيع ـ مع الاسف ـ نشر هذه القصة التي تقول انها واقعية ، لاننا غير معنيين بتوسيع (الفضائح) ومن ناحية ثانية ، نحن لاننشر المقال بتوقيع اسم مستعار .

* ج. م. ن. طرعان

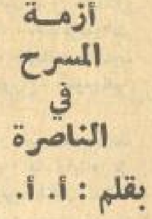
يبدو لي ياسيدي انك لاتطالع القصة الا في مناسبات متباعدة . كما ارجو في المرات القادمة ان تكتب على وجه واحد من الورقة . نعتذر عن نشر قصة (أمية) .

* شهريار ـ المغار

نعتذر عن نشر شيء لا نعرف اسم صاحبه . لماذا لا تفصح يا شهريار ؟ اتخشى غيرة شهرزاد.




المخرج جوزيف اشقر



أزمة المسرح في الناصرة

بقلم : أ. أ.



صبحي اسبانيولي   الممثل نصر خوري

المدارس والمعاهد والاندية مقياس لتقدم بلد ما ، ولكن مقياسا آخر يؤخذ بعين الاعتبار هو وجود المكتبات في تلك البلد وحوانيت بيع الزهور والمسارح ايضا ٠٠

وفي بلدنا اناس موهوبون ، يحبون لو ان لديهم الظروف المناسبة لتكريس حياتهم واوقاتهم في خدمة الفن ، من بين هؤلاء هواة التمثيل ، نقول هواة لانهم الى الان يعملون في المسرح على حساب اوقات الفراغ ناهيك عن اوقات العمل التي يضحون بها في سبيل اخراج تمثيلية ما لمواطني هذا البلد العزيز ، الذي يضم بين سكانه ثلاث فرق تمثيلية على راسها فرقة «المسرح الحديث» ثم فرقة نادي الشباب الناهض فالمسرح الشعبي الذي توقف نشاطه منذ مدة ، بعد ان تركه افضل ممثليه فانطوان صالح وفكتور قمر ويوسف فرح انتقلوا الى العمل التلفزيوني واديب جهشان الف فرقة المسرح الناهض في حيفا ، وادوار شرش الف فرقة «انصار المسرح» وقدم رواية واحدة رغم الظروف القاسية التي تعترض في سبيله ٠ وفي هذا الاسبوع قدم لنا مسرحية «الورطة» لتوفيق الحكيم وذلك على مسرح المركز التربوي في الناصرة ، وقد اخرج هذه المسرحية الممثل المعروف جوزيف اشقر ٠

بعد العرض مباشرة التقينا به وبعدد من الممثلين ، فهنأناهم وشددنا على ايديهم قال جوزيف :

قبل «الورطة» قدمنا العديد من المسرحيات منها ماهو تاريخي مثل الملك «اوديب» ومنها ما هو عاطفي مثل «مجنون ليلى» واجتماعي مثل «قتلني ابي» و «الايدي الناعمة» «وصراع في الحياة» و «السر الرهيب» و «القبلة القاتلة» ٠

— هل الصعوبات التي كانت تقوم في بداية عملكم المسرحي خفت وطاتها ام انها ما زالت قائمة ؟

— الصعوبات القائمة الان اكثر بكثير من الصعوبات في السابق ، الحياة تطورت والممثلون سئموا كثرة التضحيات وليست هنالك اية مؤازرة فعلية ومجدية استثناء تقديم القاعدة والمسرح للتمارين والعروض ، وواجب البلدية ان تكون ذات فعالية مجدية ، ان تقدم المساعدة المالية الكافية للمسرح لكي يستطيع الممثلون ان يتفرغوا للشؤون الفنية الصرفة دون ان يرزحوا تحت عبء هموم المصاريف لكل رواية ورواية٠ بالاضافة الى تعطلهم عن العمل والسهر المضني والارهاق ٠

والنتيجة ؟

— النتيجة تكون اننا ان لم نحصل على دعم مالي كبير يصرف على المسرح بكافة متطلباته كخطوة اولى للاحتراف ٠ فاننا مضطرون للتوقف كما توقفت قبلنا فرق اخرى ٠ وعندها تكون المسؤولية الادبية ملقاه على كواهل المسؤولين الذين لم يستمعوا لشكاوانا المتكررة والمزمنه ولم ينظروا لصعوباتنا بعين الاعتبار وهنا قاطعنا الاستاذ يوسف الخل مدير المسرح الحديث وهو يقول :

— احب ان اذكر ان اجتماعنا الاخير مع سعادة رئيس البلدية السيد سيف الدين الزعبي ونائبه السيد يعقوب السالم كان مشجعا جدا ، فقد حصلنا على وعد ببذل المساعي لكي يصبح مسرحنا مسرحا بلديا شبه محترف الامر الذي من شانه ان يذلل كافة الصعوبات التي تعرقل تقدمنا ٠

— وما رأيكم بتشجيعه ومؤازرته وبالتالى فان اقبال الجمهور على حضور حفلاتنا سيخفف عن البلدية الكثير من عبء المصاريف ٠

واننا نامل ان تكون المساعدة الموعودة في هذه المرة قريبة المنال ، مجدية وسخية ٠ لكي تزيل الغصة من حلوق العاملين في المسرح ٠ فيقدمون لنا المزيد من المسرحيات الراقية ويثبتون ان بلدنا قادر على المضي في مضمار الفنون ، كما تثبت بلديتنا انها قادرة على حماية ثقافتنا الفنية ٠



بعد أن قدم الدكتور مصطفى محمود مسرحية (الزلزال) عام ١٩٦٤ ، و «شلة الانس» عام ١٩٦٥ (التي حولها الى مسرحية) ، تمثل على مسارح القاهرة الان مسرحيته الثالثة (الانسان والظل) .

وفي هذه التجربة الجديدة لمصطفى محمود نحن أمام عمل يجمع بين العقلانية والوجدان بالاضافة الى أنه يجمع بين الرمز والواقع . والحالة الاولى يمثلها تحرك الشخوص داخل الجحيم ، والثانية يمثلها تحرك الشخوص داخل المسرحية في اطار واقع حياتهم .

وفكرة المسرحية تدور حول القاضي الذي يحكم باقصى العقوبة : بالاشغال الشاقة والاعدام على المئات. وهذا القاضي المسمى رحمي «صلاح منصور» .. انسان ضاق عقله بالقوانين ، وبتنفيذها . وفجاة احس للحظة ان القوانين التي ينفذها باسم العدالة ، لا تحقق العدل اطلاقا . بل ان في تنفيذ هذه القوانين نوعا من الظلم . وهي قوانين نابعة من الانسان ، فلا بد أن ترتبط ببعد انساني اساسه الرحمة . وهذه الصراعات التي نمت وتضخمت الى درجة أراد من خلالها المؤلف ان يشطر شخصية رحمي شطرين كي يعبر عن الصراع ما بين الكلمة الجافة المكتوبة على ور ق.وهي القانون ، والضمير الانساني الذي يرتكب خطايا وموبقات باسم هذه الكلمة داخل المحكمة الانسانية ، على جميع المستويات السياسية والاجتماعية في كل مكان . وأن الحروب التي اشتعلت في العالم كله كانت باسم العدالة .. وباسم تحرير الشعوب ، وفي باطنها الطغيان . وان القتل والتقتيل يرتكب باسم هذه القوانين . وان المسائل كلها بالنسبة للعدالة نسبية ، وان في هذا العصر الاليكتروني الذي أتاح للانسان ـ بعقله ـ فرصة النمو في الحجم الفكري ، الى درجة خبأت جانبه الانساني، فاضطرب ميزان الوجود البشري ، وبدأت تظهر القضايا .. من فيتنام الى قاض اقسم أن ينفذ القوانين بدقة . وفي المسرحية نرى أن المشنوقين الذين اعدمهم القاضي يبعثون أحياء ليجلسوا القاضي في قفص الاتهام ،ويتحولوا هم الى قضاة .

والمحاكمة تجري طوال المسرحية ، وهي ليست محاكمة للقاضي وحده ، ولكنها محاكمة للقانون ولعقلية العصر. ان العصر هنا عصر العقل ووصوله وسلطانه . وفي نفس الوقت عصر ضمور العاطفة والرحمة . فالانسان اصبح أكبر عقلا . وأقل حبا . والنتيجة : انسان هرقلي شمشوني . يملك قنبلة ذرية ، ولا يملك رحمة تساويها ولذا فان الظروف تضع كل الشخوص في قبضة الموت .

واهم ما في المسرحية هو المحاكمة التي تخرج خلال الصراع الناجم عن قضايا الاعدام باسم القانون . فهؤلاء يحاكمونه ويدينونه . ويحكمون عليه حكما غريبا لا يوجد في القانون وعلى رأس هؤلاء فضل الشرقاوي «المرسي ابو العباس» . وهو هنا رئيس المحكمة . وكان قبلا آخر المحكوم عليهم بالاعدام .

وفي نسيج هذا العمل تشكلت اسرة القاضي .. المكونة من رحمي القاضي وأمه الخيرة المتدينة « أمل صالح » ثم زوجته كوثر «سميرة محسن» .. وقد ضاقت بها وتفجرت فيها ، كل متراكمات سلوك زوجها حيالها .. من اهمال لها .. ولانوثتها .. ولوجودها ..

وكما اثارت مسرحية «الزلزال» عام ١٩٦٤ سؤالا هاما بخصوص تنفيذها : هل يمكن ان يكون الحدث الخيالي «الفانتازيا» منبعا جيدا للدراما ؟ وما دور الاخراج فيه ؟ تثير مسرحية «الانسان والظل» عدة اسئلة كلها حول امكانية تجسيد هذا العمل بواقعه ورمزه .. وهل من السهل تحريك العقلانية على الخشبة .. تحريك الجحيم بصورة مؤدية للغرض ؟

والواقع أن الاخراج الذي قام به حسن عبد السلام قد شارك في البطولة مشاركة فعالة قوية .. فالاخراج هنا بطل حقيقي من أبطال المسرحية . وقد أثبت حسن عبد السلام ، انه ليس منفذا للنص ، وانما هو يفسره ويضيف اليه بل ويخلق حركته الدرامية .

وقد بدأ من الموقف الساكن في بداية المسرحية الى حركة درامية دفاقة . واستخدم في ذلك كل وسائل الاخراج المسرحي الحديثة . فقد عبر بالحركة والصوت والاداء . واستخدم الظل والضوء .. بل استخدم الصمت في حد ذاته للتعبير ، واستعان في ذلك بتشكيلات الحركة التي تفسر الكثير من معنى المسرحية . ثم التقاء بعض الشخصيات وتباعدها في ايقاع معين يفسر الكثير من حركة الحدث الدرامي نفسه .

ومن حيث التنفيذ يمكن أن نقول أن حصيلة المسرحية

تحتوي جانبا في غاية الاهمية بالنسبة للمخرج حسن عبد السلام ، وهو جانب التعبير ، أو التعبيرية اما الجانب الوصفي في المسرحية فمتقدم ونفس الكلام ينطبق على جانب القواعد الدرامية في الكتابة ، اللهم الا انفعالة من خلال شكل مسرحي نسج بالتعبير التلقائي غير المقصود لايجاد شكل معين للكتابة المسرحية ... والذي فهمه المخرج وشعر به جيدا هو الانطباعة الصادقة لازمة الانسان المعاصر، بالنسبة للعدالة الموجودة في مجتمعنا المطلق ، والتي انفعل بها مصطفى محمود وخرجت منه في مسرحية (الانسان والظل) وهي بجانب كونها على درجة عالية من التكثيف ، يمكن وضعها بالبساطة وسهولة الوصول الى جماهير المتفرجين

والذي يقرأ المسرحية ويتخيل تنفيذها ، يخشى تماما على المخرج حسن عبد السلام من المنزلق الميلو درامي الموجود بها • ولكن عندما يشاهد المسرحية يجد العكس •• لم يؤثر هذا المنزلق على فكر المخرج ، بل استغله كجانب تعبيري عن ازمة المعاناة للانسان المعاصر ، والاشكال التي يمر بها اليوم ، وهي المحاكمة •• وقد صور حسن عبد السلام ازمة المعاناة على انها نوع من التطهير •• وايضا التفاؤل •• وان مجرد وجود معاناة داخل كيان الانسان ، هو في حد ذاته عدم انعدام للضمير •• وان هناك جزءا خيرا موجودا يمكنه احداث نوع من أنواع التوازن الاجتماعي داخل المجتمع •

وعملية تجسيد الجحيم واجهها المخرج بمفهوم منطقي ودقيق وبفهم واضح لفكرة النص • فالجحيم من وجهة نظر مصطفى محمود ، ومن وجهة اي قارىء عادي للنص هو ما يعانيه الانسان حينما يتوفر له الرقيب الطيب السوي ، وهو الضمير • ويحاكم عقله ويصادر خياله • وهذا الجانب الموجود والذي ترجم من خلال المحاكمة التي هي تعبير عن المعاناة انفعل به المخرج حقيقة ، وجسده التجسيد الذي جعلنا نراه ونحسه عن طريق مدى القسوة على الانسان من خلال جحيم مادياته • اما الجانب المعنوي فقد تمكن المخرج من التعبير عنه من خلال الاضاءة والموسيقى والملابس والديكور وملحقاته •



صلاح وكوثر – الانسان والظل •

اما البعد الموسيقي فقد الفه محمد عبد الوهاب • وفي التاليف دليل صدق حساسية شديدة واصالة دينية داخل محمد عبد الوهاب ، تم تفجيره في هذا العمل •

فعبد الوهاب يصور لنا في هذا العمل خروج الارواح من الجحيم ، وبعث المشنوقين كما يصور الجنة ، ومن يستمع الى موسيقى عبد الوهاب يشعر ان هناك حوارا تم بينه وبين حسن عبد السلام للوصول الى نقطة توحد في فهم النص بين الابعاد الموجودة كلها • والنتيجة ان عبد الوهاب وصل فعلا الى اعطاء الايحاءات المطلوبة لجميع الاجواء التي تمر بها مراحل المسرحية ، وايضا لابعاد الصراع الموجودة داخل الكيان الانساني •• وظهر هذا في لغة التعبير من خلال الكورالات والنايات والاليكترونات • حقا لقد نجح عبد الوهاب في اعطاء موسيقاه معنى الكلمة واللغة •• لا معنى الطرب •

وكما اقنعنا المخرج بانه من الممكن التغلب على الصعوبات التكنيكية الشديدة في الاخراج ، فاعطانا صورة حية شيقة للانسان والظل ، ولان الممثلين جاروا كفاءة المخرج وجدارته فقد اجادوا جميعا •

دور الزوجة كوثر الذي أدته سميرة محسن دور في غاية الاهمية والصعوبة في الاداء فهي تمثل في الفصل الاول دور الزوجة الضحية •• وفي الفصل الثاني دور الجلاد • وبين الاثنين انتقلت سميرة محسن بفهم ذكي وواضح للدورين ،

أما صلاح منصور ذلك القاضي الذي اجتمعت في شخصيته كل معاني المعاناة وكل لوعتها واساها فهو قاض ثم متهم •• وهو قبل كل ذلك انسان معذب ويكفي صلاح منصور أنه اعطانا كل هذه الانطباعات بصدق •

كتب صدرت عن «الشرق»

١ ـ طريق الآلام ـ مجموعة قصصية : لمصطفى مرار
٢ ـ شتاء الغربة ـ مجموعة قصصية : لزكي درويش
٣ ـ دراسات في ادب توفيق الحكيم : اعداد الدكتور دافيد صيمح .
٤ ـ قهوة الصباح ومسرحيتان : هاشم خليل

وقد صدر مؤخراً :

اراء ودراسات في الفكر والفلسفة

بقلم : سلمان نايف ناطور

تحت الطبع :

«الف ليلة عصرية» :

ديوان جديد للشاعر : ميشيل حداد

تنزيل خاص لقراء ولمشتركي «الشرق»

اعلان

تسهيلا على مشتركي الشرق الكرام ، سنواصل في ارسال المجلة اليهم ، الا اذا طلبوا التوقف عن الاشتراك ، راجين من مشتركينا ارسال قيمة اشتراكهم بأقرب فرصة ممكنة .

قيمة الاشتراك السنوي

عشر ليرات اسرائيلية

الاشتراك لنصف سنة

ست ليرات اسرائيلية

الاشتراك الفخري لانصار المجلة : ٢٥ ليرة وما فوق

طبعت في مطابع دوكمه م . ض . — القدس — ت : ٥٣١٩٢٩

الثمن ليرة اسرائيليـــة